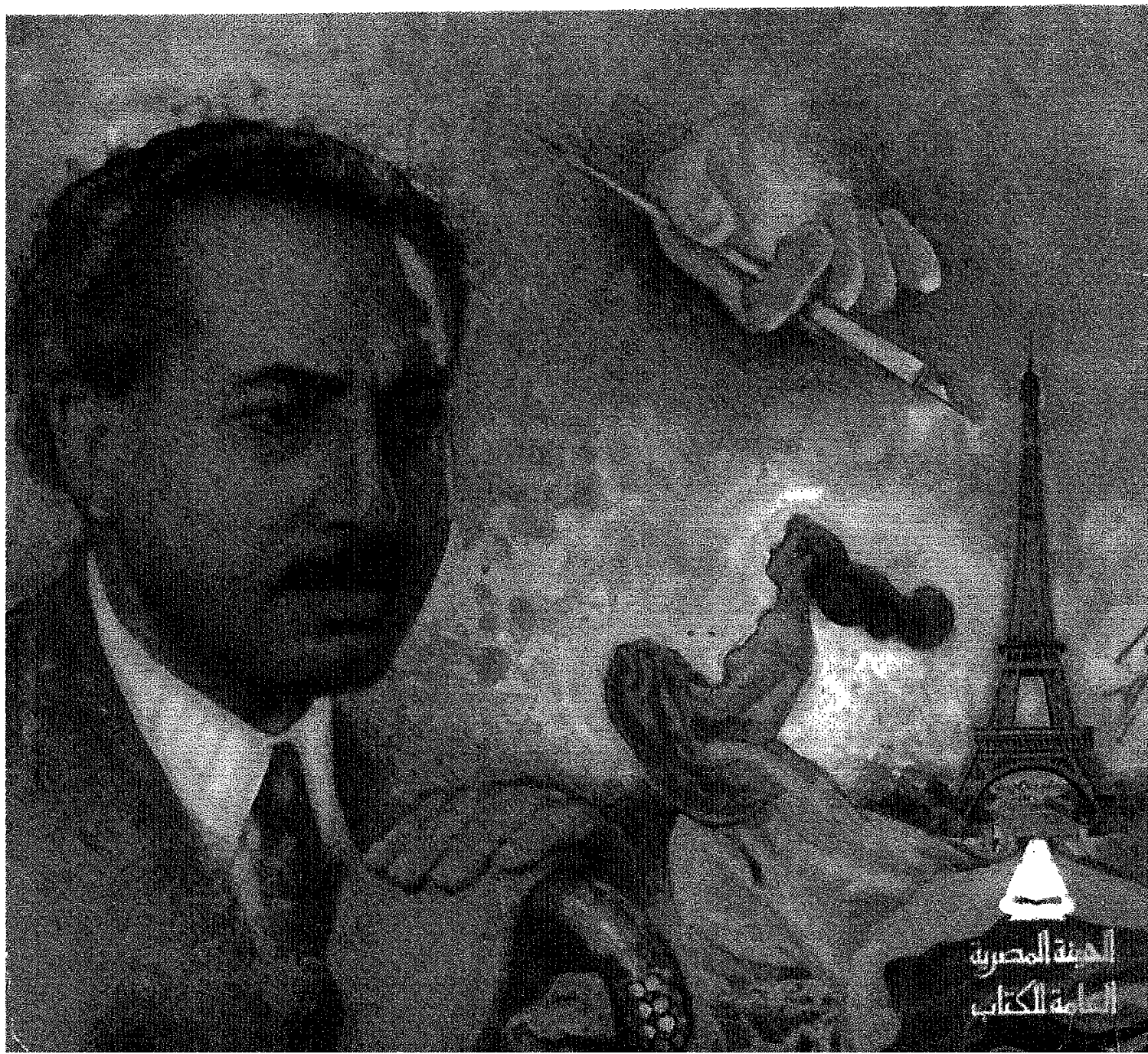


مكتبة
الأسيرة
١٩٩٨

مهرجان الفراعنة للجميع

الأعمال
الإبداعية

زهرة العمر توفيق الحكيم



الهيئة المصرية
للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة المرحوم/شارل حرتيه

الاسكندرية

زهرة العمر

زهرة العمر

توفيق الحكيم



مهرجان القراءة للجميع ٩٨
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأعمال الابداعية)

	زهرة العمر توفيق الحكيم
الجهات المشاركة:	
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	الخلافه
وزارة الثقافة	للغنان جمال قطب
وزارة الإعلام	الإشراف الفني:
وزارة التعليم	للغنان محمود الهندي
وزارة التنمية الريفية	
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	المشرف العام
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب	د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التثويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلمتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

مقدمة

هذه رسائل حقيقية كتبت بالفرنسية في ذلك العهد
الذى يسمونه « زهرة العمر » . وهى موجهة الى مسيو
« اندريه . . . » الذى جاء وصفه فى كتابي « عصفور
من الشرق » . وقد بدأنا نراسل بعد مغادرته « باريس »
للعمل فى مصانع « ليل » بشمال فرنسا . ولبثنا على ذلك
إلى ما بعد عودتي الى مصر والتحاقى بالسلك القضائى .
ثم انقطعت بيننا الرسائل والأخبار . وانتهى كل شئ .
وجرفنا تيار الحياة ، كل فى واديه . . . فلم نلتق بعد
ذلك الا فى عام ١٩٣٦ ، إذ سافرت لتمضية الصيف فى
فرنسا . . . وكنت قد تركت القضاء ، وصرت

— ١٠ —

مديرا لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف ، ونشرت في
الأدب عدة كتب ... فوجدت « اندريه » قد أصبح رجلا
مهماً ذا مركز مستقر في الصناعة الفرنسية . ووجدت
زوجته « جرمين » على عهدي بها ، لم ينل الزمن كثيرا من
سالف جمالها .. ولم أر للأسف طفلها الصغير « جانو » .
فقد غدا بالطبع شاباً يسعى مع الطلاب في الحى اللاتينى ،
ويشاركهم تلك الحياة الصحية النشيطة الهوجاء .

وتحدثنا مليا فيما فعلته الحياة بنا وعند ذاك
قادتني الصديقان من يدى إلى مكتبة الدار برياشها التى
لمست فيها حسن ذوق « جرمين » المعروف . وأشارا بزهو
من خلف الزجاج الى نسخة فاخرة التجليد من كتاب
لى ترجم وقشذ الى الفرنسية ونشر فى باريس مقرظا بقلم
كاتب شهير من أعضاء الأكاديمية . وقالوا لى نخورين :
« هذه ثمرة جهادك الذى كنا من شهوده . . . ! »
ثم جعلنا نتذاكر الماضى ، ونحن نتناول الشاى .

قنض أندريه بهدوء وهمت ، واختفى لحظة ، ثم عاد إلينا
يحمل صندوقا صغيرا وهو يقول باسمنا : « لم يكن من
السهل ان ننساك أو ننسى تلك الأيام ، وهذه رسائلك
عندنا نلمح فيها طيفك ماثلا أمامنا . . أليس كذلك
يا جرمين ؟ . . ، فمددت يدي إلى الصندوق على الرغم
منى ، واختطفته بحركة غريزية إحدى الرسائل . وطلقت
أقرأ وأقرأ . . . حتى نسيت نفسى ومن حولى والشاى
الذى أمامى . . . ولم أفطن الى تنبيه الصديق وزوجه . .
ولم أرسوئ شئ واحد . هذا شبابى حقا . . . قد
انتفض ماثلا لعينى . . كيف أتركه لكما ؟ . . وتنازعنا
الرسائل . فحسمت جرمين النزاع آخر الأمر بقولها :
إنا تثق بوعدك وكلمتك . . . خذ رسائلك أقرأها كما
شئت فى شهر أو شهرين على أن تردها إلينا بعد ذلك .
فوعدت . وحملت رسائلنى برفق وحرص وحنان كأنى
أحمل الرماد المتخلف عن « زهرة العمر » الذابلة . . .

— ١٢ —

* * *

وأنستى شئون ذلك الصيف كل شيء . فلقد شغلت
بين قابلت من الأصدقاء في جبال الالب ، وبما شاهدت
من مظاهر الفن . . في سالزبورج ، عن التفكير في
هذه الرسائل ، فلم افتحها إلا بعد عودتي الى مصر . فكنت
كلما خلوت الى نفسي اطالع رسالة اورسالتين وأنا ابتسم ،
ثم أطوى ما قرأت وأنا أفكر فيما كان وماهو كائن . . .
لقد أصبحت هذه الرسائل لازمة لي في وحدتي . ومرت
الشهور في أثر الشهور . ولم أنس وعدي وكلمتي . .
ولكن ماذا أصنع ؟ عندئذ خطر لي أن أنقل هذه
الرسائل الى العربية وأحفظها لنفسي . ولم أر بأساً بعد
ذلك من رد الأصل الفرنسي . فأخذت في نقلها ببطء
كلما وجدت من الوقت فراغاً . ولم أرد لها الى صاحبها
إلا عندما سافرت الى فرنسا لتفضية الصيف عام ١٩٣٨ .

— ١٣ —

وهكذا بقيت عندى الصورة العربية لهذه الرسائل اجيل
فيها النظر من حين الى حين . . . وأنا أحرص
عليها وأضن بها ولا أرضى أن تقع عليها عين غير
عيني . . . فهذا شئ لى . . . وهى جزء من . . .
وقطعة من حياتى . . . هى زهرة عمرى . . .

* * *

واندلعت نيران الحرب الأخيرة . . . وانهارت
رנסا . فتذكرت الصغير « جانو » . . . لاشك
عندى فى أنه اشترك فى هذه الحرب . . . ومن يدرى
أهو فى القتلى أم فى الاسرى أم فى الجرحى ؟ . . . انى
لم أزل اتخيله طفلا فى الرابعة يلعب أمامى فى المطبخ
بمنزل جدته فى « كوربفوا » من ضواحي باريس . . .
وانا جالس الى المائدة أتناول فطورى واقرأ كتاب
الجمهورية لأفلاطون . . . وهو يصيح بصوته الملائكى

- ١٤ -

الصغير رافعا سيفه الزائف ومصوبا مدفعه الصفيح نحو
أعداء وهميين من «البوش» الألمان ... آه ... لقد
دار الزمان . . وأصبح «جانو» شاباً قويا وقد حارب
الألمان بالفعل . . . وبألها من حرب ١١ .

أما صديق اندريه وزوجته جرمين فإين هما الآن ؟
أهما بخير ؟ أم هما على ولدهما «جانو» متفجعان ؟ ١ ؟
اللهم لا تفجعهما في ولدهما وهو في زهرة عمره . فقد كانا
رفيقى شبابى ، والإثاء الذى أحاط بزهرة عمرى . . .

* * *

واليوم وقد كادت تذبل زهرة العمر بعد ان جاوزنا
الأربعين . اليوم بعد ان اعتزلت وظائف الحكومة ،
ونزلت عن زخارف المجتمع ، وانقطعت لأهم كما أشياء
في هيكل «أبولون» . . . مكرسا بقية حياتى للأدب
والفن . . . فإني أرجع بصرى القهقري لأرى أيام

- ١٥ -

الكذ في سبيل التكوين الفني . . . ولقد أدهشني حقاً
ما رأيت في رسائل هذه : لطالما قاومت وكالحت في سبيل
التجرد والتحرر من كل ما يشغاني عن الفن . . . وها انذا
اليوم قد انتصرت . . . نعم ، لقد انتصرت . فأنا
الآن للفن وحده . . . ولا أرجو إلا ان يكون هو ايضا
لى قليلا قبل أن ألفظ النفس الاخير .

وبعد . . . فلقد رضيت اليوم أن أنشر هذه
الرسائل ، تذكراً للصديقين اندريه وجرمين ، وتقديراً
لولدهما الشاب الباسل « جانو » ، وإشاراً لقرائى على
نفسى . قرائى الخلاء الذين قد يعينهم ان يطلعوا على صفحة
من حياتى . على ان من واجبي أن اشير إلى انى وجدت مع
الاسف أكثر هذه الرسائل غير مؤرخ . ولم يكن فى
مقدورى ترتيبها على حسب التواريخ ، ولا حتى على
حسب الحوادث ، ترتيباً دقيقاً . ولعل ترتيبى هذا هو

- ١٦ -

أقربها إلى الحقيقة والمنطق . فإذا بدا شيء من الاضطراب
في تسلسل الوقائع أو شيء من التكرار في بعض التفاصيل
فإن ذلك راجع ولا ريب الى طبيعة الرسائل في ذاتها ،
وقد كانت رسائل خاصة لم يخطر قط على بال أحد انها
قد تقدم للنشر يوما . والرسائل الحقيقية ليست عملا
مؤلفاً تأليفاً حتى يستباح فيها التنقيح والحذف والتهديب .
فإن ميزتها الوحيدة هي التشجيع على نشرها بخيرها
وشرها . واني - توخياً للصدق - لم أحذف حتى ما
كان يحسن حذفه من عبارات أو فقرات أو حوادث قد
يعتبر نشرها ماساً بشخص المرسل أو المرسل إليه . .

س . ١٠ .

— ١٧ —

باريس - شارع بلبور في . .

عزيزى اندريه

صدقت فراستك. الخيال قد أضاعنى يا اندريه .
أنا شخص شقى . وليس الشقاء هو البكاء . وليست
السعادة هى الضحك . فأنا أضحك طول النهار .
لأننى لا أريد أن أموت غارقاً فى دموعى . أنا شخص
ضائع مهزوم . فى كل شىء . وقد كان الحب آخر
ميدان دحرت فيه . واذا كنت تسمع من فمى
أحيانا أناشيد القوة والبطولة فاعلم انى أصنع ذلك
تشجيعاً لنفسى ، كمن يغنى فى الظلام طرداً للفرع .
ها أنت ذا اليوم ترانى اكتب إليك عن القوة

زمره العمر - (٢)

والشخص القوي : وانا بهذا أحاول أن أوهم نفسي
أني قوي . انى أشعر براحة وعزاء إذ أتحدث في
وحدتى عن القوة . ويخيل الى لحظة انى ذلك الشخص
الذى عناه إيسن بقوله : « الرجل القوي هو الرجل
الوحيد » . . . كفى كلاما عن نفسى . انها لا تستحق
ان نتحدث عنها أكثر من ذلك . أحدثك الآن
عن احوالك انت وعن خطابك الذى صيبت على
فيه كل لعنائك . قبل ذلك اقول لك انى مغتبط
لرضاك عن عملك الجديد بمصنع «ليل» . اما اكفهرار
الجو المستمر فى هذه المدينة الشمالية فهو خير على كل
حال من اكفهرار وجه الحياة . اخبرك ان آخر مرة رأيت
فيها جرمين كان مساء الأربعاء الماضى حيث تناولنا
معا للعشاء بصحبة جانو الصغير . وسأراها يوم الأحد
القادم . فهى لا تستطيع مقابلتى قبل ذلك اليوم
الذى تعطل فيه من مصنع كوريفوا . وليس بى

حاجة الى ان اؤكد لك شوقها الشديد إليك . هنيئنا
لك حب زوجك وولده . النقود وصلت . الثمالة
من الفرنكات بالتام . اشكرك وارجو ان لا
تستدين من غيرى ولا منى الا للضرورة. فاني أعرف
فيك الاسراف والتهور أحيانا . وحب مغازلة النساء
الجميلات. يجب ان ترعوى والا أخبرت جرمين بكل
شئ... ما

— ٢٠ —

باريس — شارع بليور في . . .

عزيزى اندريه

اشكر لك خطابك . وآسف لما سببه لك
خطابى من حزن لأجلى . ما كان لى الحق فى ان
أضيف ما بى الى ما بك . فهذا حمل ثقيل لا أرضاه
لك . انى أؤنب نفسى الآن . لقد ألجأها الضعف
إليك للتوكؤ عليك . وفاتها ان فى ذلك ازعاجا لك .
قاتل الله الضعف . ومع ذلك ، . . . لولا هذا
الضعف الانسانى ما وجدت المواطف الانسانية .
الجميلة التى تنتج احيانا الأعمال الانسانية العظيمة .
ان الضعف هو ايضا مظهر جمال فى بعض الاحيان

لا يجب ان نفسى ذلك . انه جمال الانسان الذى يمتاز
به عن آله قوى لارقة فيه ولا شعور . لماذا نعد
دائما الضعف البشرى نقيصة ؟ ما دمنا قد وصمنا
به إلى الأبد فلنحترمه أحيانا ولنستشمره ولنحولاه الى
فضيلة من فضائل البشر . بغير هذا فان الحياة لن
تحتمل . أترانى أعزى نفسى يا اندريه بهذا الهراء
من الكلام ! . . . أترانى أقلب « الحقائق » كي أرى
الدنيا ملاءى بالحسنات والفضائل ، خليفة باحترامنا
جديرة بتحملنا الآلام فى سبيل المكث فيها ؟
لاتضحك ولا تسخر ولا تهمنى بالحق . فانك قد
تحترمنى قليلا وتدهش لقوة احتمالى ، اذا عرفت مبلغ
ما تجمع على رأسى من شقاء . ومع ذلك ما زلت
احاول انتزاع ابتسامة من شفتى الحياة . لا أريد ان
أحدثك عن نفسى أكثر من ذلك . لكن . . .
فلا أحدثك قليلا لتعلم انك بالقياس الى أسعد

الخلوقات طرا . فانت الآن رجل ناجح في حياتك
تجد من يقدر عملك وجهتك وينقلك عليه أجراً
معقولا ، والمستقبل أمامك جلي كالنجم اللامع في
السماء الصافية . وقد قلت لي ان مصانع « ليل »
تغاطفك ، وانك ترقى درجات العمل الأولى سريعا .
ثم انت فوق ذلك رجل محاط بالحب والمطف من
زوجك وولديك . انت محب محبوب . ومن تحب
تحرص عليك وترى فيك المثل الأعلى ، لا للرجولة
وحدها والبطولة ومكارم الاخلاق بل للجمال ايضا .
لكن أدهشتني جرمين ذات يوم وأنا أريها صورة
« رودولف فالنتينو » في إحدى الصحف قائلا لها :
« إليك صورة أجمل رجل في العالم » فقد قالت
للغور : « اندريه أجمل منه . ألا توافقني على ان
اندريه أجمل منه ؟ » ماذا تريد أكثر من ذلك ؟
وماذا يريد انسان أكثر من ذلك ؟ انك لا تعرف

— ٢٣ —

الشقاء . اما انا فاعرفه . انه فجيعة الانسان في آماله .
نحن . . . إنما نعيش داخل آمالنا . فاذا اندكت
فنحن كالنمل الشارد في الشتاء العاصف ، لا تنظر
الى بعين سخريتك يا اندريه . ولا تظن انى اعنى
الحب . فلوانه هو الذى انهدم وحده عندى لما
حزنت كثيرا . ولكن كل شئ انهدم با اندريه .
لم يعد لأيامى مذاق . فهى كالماء القراح أجرعه على
غير ظمأ . والمستقبل امامى محاط بالضباب ؛ نخل
الى انى هويت قبل الأوان كالثمرة التى تسقط من
الفرع قبل للنضوج . أمامى برقية من أبى المسكين
يقول : « أبرق لنا فى حالة نجاحك » . كلمة النجاح
غريبة علي اذنى الآن أنا استطيع ان انجح فى شئ ؟
ان اسمى كما تعلم مقيد منذ زمن بجدول المحامين فى
بلادى . انى فى عرف القانون محام . ولكن اى محام ؟
لقد كانت فجيعة لأبى المسكين أيام ان كان يسمع

ويرى انى أنسى صفتى كعالم ، وانحشر فى زمرة
المثليين ، أو أولئك الذين يسمونهم عندنا
« المشخصاتيه » . والحق انهم فى مصر ليسوا بعد
من الطوائف المحترمة . لقد كان ملحن رواياتى
(كامل الخلقى) يجلس معى على قارعة الطريق
« يدندن » ويلحن وهو حارى القدمين إلا من
« قبقاب » خشبي تلك كانت بدايتى الفنية
والأدبية . . . فى عين الوقت الذى كان غيرى يبدأ
حياته الأدبية بالكتابة السياسية ، فيظفر سريعا
بالشهرة والاحترام . ولو انى فعلت ذلك لرضى عنى
أهل بعض الرضا . فالفرق شاسع فى مصر بين
خدمة رجال السياسة وخدمة رجال « التشخيص » !
وها أنذا لم أظفر بشهرة ولا ذكر بينما لمعت أسماء
أولئك الذين اختاروا الطريق الآخر المحترم . . .
فسهل عليهم ايضا بعدئذ كما رأيت ان ينتقلوا منه

الى الأدب ، محتفظين بأثواب التجلة ومظاهر
التقدير . أما أنا الذى اخترت الفن من البداية صرفاً
صريحاً فلا استطيع ان انتقل الى شيء . . . غير
الانحطاط الاجتماعى . ولقد خشى والدى المتوجع ان
يجرفنى التيار عن حياة القضاء التى عاشها بشرف ،
فأشار عليه المخلصون ان يقصينى عن مصرفة من
الزمان . . . فأرسلنى كما ترى الى هنا لعل أسلو
الفن وانصرف الى ما يتمناه لى من حياة قانونية
قضائية محترمة . فإذا انا قائل له الآن ؟ وبماذا أرد
على برقيته ؟ . . ثم أمامى خطاب ممن احببت
وأوهمنى بنعيم دام اسبوعين ، تكشف لى فيه عن
المهزلة ، ولم تترفق فتترك لى حتى ذكرى تلك
الأيام القليلة سليمة جميلة . لقد شاءت ان تسرد
كل شيء حتى الأوهام والأحلام . فجردتنى منها
بعبارة واحدة : « أتمنى انى ما عتب قط هذين

الأسبوعين » . يا آلهى الى هذا الحد ! وما هى ذى
تغنى اليوم لرجوع كل ود بينها وبين حبيبها الحقيقى .
أسمع غناءها من نافذة حجرتى فاضحك . . . لكن
أى نوع من الضحك ! ثم أمامى قصاصات من نقد
صحف مصر لرواياتى التى تمثل فى القاهرة ، فاذا انا
موضع السخرية . ودراساتى التى لا تؤدى إلى نتائج .
وشراحتى فى المعرفة التى تسبق قدرتى الذهنية وقوتى
الجهمانية ووقتى المادى . كل شىء حولى يهدمنى
هدماً . . . ما

— ٢٧ —

باريس - شارع بلبور في . . .

عزيرى اندريه

معذرة لأُعطائي عليك في الرد . فلقد اصبحت
يبرد وسعال أقعدني في الفراش أياما . وأنتهز هذه
الفرصة لأُبلغك شكري الخالص لجرمين على قلقها
وعنايتها . . . كما اخبرك أيضا انها دعتنى بعد ذلك
الى وليمة عشاء بمسكنها حيث نصبت المائدة الى جوار
المدفأة . لن أنسى مطلقا ذلك الحساء اللذيذ (كريم
فرميسيل) . اهنتك باستكشافى في جرمين ، فضلا
عن ذكائها وأدبها وخلقها ، ذلك الفن الجميل المفيد :
فن الطهى . . . ثق انها طاهية من الطبقة الاولى .

— ٢٨ —

انها تستحق «الكوردون بلو» هل ذقت فطير
الأرز من صنعها؟ وأسفاه اكان بي ما يزال أثر
المرض فلم أهاجم على هذا اللون الا هجوما رقيقا
على الرغم منى. أكرر شكرى لجرمين على هذه
الوليمة وعلى تلك الغلالة الحريرية التى اعارتنى اياها
لأجعلها حول عنقى خوف البرد جانو يقبلك وقد
قبلته عنك ... ؟

— ٢٩ —

باريس - شارع بلبور في . . .

عزى نرى اندريه

لم اكتب اليك ولا أدري لماذا لم تكتب الى
انت. لعلك كنت تنتظر ردى . وردى لم أجده
قيمة ولا فائدة لان كتابك الأخير لم يكن فيه ما
يوجب الرد . أما جرمين فهى على ما تروم. وكذلك
جانو . وقد قابلت جرمين منذ ثلاثة ايام . وليس
عندى ما أقوله . أما أنت فقد اثبت لى ان مقامك
فى ليل بعيدا عنى تحب قد كشف عن رقة فى
مشاعرك لا اعهدك بها خليقا . اخشى أن أقول ان
قدمك كادت تنزلق الى شاطئ الخيال الذى كنت . . .

— ٣٠ —

تسخر منه . لانهزأ قط بالحب والخيال . هانت ذا
تستطيع ان تحدثني اليوم عنهما اكثر مما تستطيع
انا . نعم ، لقد كان يخطر لي احيانا ان الحب هو
الممود الفقري للكون . وان الله كي يقيم القيامة
وينهي الحياة لن يأمر اسرافيل بتفخ الصور (كما
يقولون عندنا) بل سيأمر « الموت » ليهوى بفأسه
على « الحب » . ويموت الحب في الأرض ينتهي العالم .
تصورت ذلك ذات ليلة وانا في فراشي اطالع تاريخ
المذاهب الاقتصادية . ولقد تركت اوراقها تسقط من
يدي لاغرق في تفكير عميق حول مسألة بعيدة
كل البعد عن تاريخ المذاهب الاقتصادية . على اني
الآن انقض هذا الخاطر . ويخيل الى ان الحب في
هذا العالم عضو سوف يتمكن العلم الحديث من
بتره واستئصاله دون أن تخسر الانسانية شيئا كبيرا .
مارأيك يا اندريه ؟ اريد رأيك في هذا لأن رأيك

- ٣١ -

ذو قيمة كبرى ، فهو صادر عن منطق طالما انكر
سلطان الخيال ا اما انا فقد انكرته أو على الأقل
سأثر في طريق انكاره والايان بالواقع . الدليل : انى ارغم
نفسى الآن على الاستعداد للتقدم لامتحان الدكتوراه
فى القانون ، ارضاء لأهلى ... لاشىء يعوقنى عن النجاح
غير طبيعتى التى خلقت للضياع فى الفضاء لا للوقوع فى
قيود الدكتوراه وحدود المعارف الجامعية . نفسى
قد خلقت لتقرأ ما تريد وقما تريد ، لتحيط علما
بكل شىء وتسعى الى تأمل كل شىء وتستبقى فى
الذاكرة ما تشاء وتنسى ما تشاء . اما تتبع دراسة
منتظمة لجزء معين بالذات من العلوم يستذكر
استذكارا ليستفرغ بعد ذلك استفرافاً بين يدى
ممتحنين ومخلفين ... ؟ هنا كل الشكل يا صديق
اندريه ... ؟

— ٣٢ —

باريس - شارع بليراق . . .

عزيزى اندريه

وصلتنى رسالتك وأعجبت جدا بتلك الطريقة
الدهشة التى جعلتنى اعتقد ، ولمدة خمس ثوان فقط ،
انى امتلك ثلثمائة فرنك . ولما يمضى الوقت الكافى
لشكر الله وشكرك . بل لما يمضى الوقت الكافى
للتفكير فى مصدر هذه النقود . لقد أعطيتنى
الوقت الكافى لأفرح قليلا . ثم لم تمهلنى وصدمتنى
بالواقع : وهوان تلك الثلثمائة من الفرنكات ليست
فقط « غير ملكى » انما هى « طعم » لاستجزار
مائتين من جيبى ! واهالك ايها الشيطان ! على انى

— ٣٣ —

غير حاقده عليك ولا ناظم . فحظك حسن . اذ قبل
ورود خطابك كانت نفسى مستعدة لتقبل مثل هذا
الخطاب . وتفصيل الأمر انى البارحة قابلت جرمين
وتحدثنا فى أمور شتى فهمت من خلالها ان قسط
ايجار مسكنها سيجعل فى منتصف هذا الشهر . ومع
ان هذا الأمر لم يكن موضع اهتمام لديها ولا لدى
أثناء الحديث . الا انه جعلنى افكر بعد مغادرتها
فى مصدر النقود ، وفى حالتك وما يجب فعله إذا
اعلنت افلاسك . ولما كنت أعرف من علم
الاقتصاد السياسى ان الضرائب غير المباشرة عند
اصحاب المذهب الزراعى تقع غالبا وأخيرا على رأس
المالك العقارى ، فقد خطر لى انى انا فى هذه المسألة
بمثابة المالك العقارى ، بمعنى ان كل افلاس أو كارثة
لابد ان تقع ويجب ان تقع على رأسى غالبا وأخيرا .
هذا هو سر تقبلى رسالتك بصدر رحب على غير

زهرة العمر - (٣ م)

العادة . وقد نفذتها أو سأقوم بتنفيذها بلا تضجر
ولا تبرم . فانا أحب أن تعرف اني لا أثور ولا
أعنف الا عند عدم اقتناعي بصواب ابواب الاتفاق،
اسراف منك او جتونا أو اعتمادا على سهولة الاقتراض .
وبعد فاني سأرى جرمين مساء الجمعة القادم كي نذهب
معاً لمشاهدة رواية جديدة في مسرح الحى . وارجو منك
ان تدع جرمين تفهم ان صلتى بها لا تستمد قوتها
من صداقتى لك . انما هى صداقة أخرى مستقلة تقوم
على احترامى لشخصها وتقديرى لذكائها . فانا لا
أحب لجرمين أن تفهم انى موفد من قبلك لأخرجها
للزمة بين آن وآن ، ولا انى أتكلف هذا قضاء
لواجب من الواجبات . على انى قد ضعكت كثيرا
وأنت تخبرنى فى خطابك انها لن تنسى ذلك
التفانى منى فى خدمتها وانها لا تشكو الامرا
واحدا : هو انى لم أحاول قط مغازلتها ! يا لظرف

— ٢٥ —

الباريسيات ! أو كانت تظن انى وأنا الشرقى أجرو على
ذلك فى غيبتك ؟ أفهمها أنى سأحاول ذلك مرة فى
حضرتك ، لتعلم أنى لست ممن يستهين بجمالها . ومع
ذلك فهى لا تجهل أى سرور أجنيه وفائدة لا تقدر ان
يتاح لى لقاءها من حين الى حين . فانك لن تتصور
مقدار ما يحدثه جلوسى إليها من نتائج فكرية .
انك تعرف مقدار فائدة المرحوم إيفان لى وفائدة
الشاعر البارناسى الهرم ... ها انت فا ترى ان كل شىء
يدفع ثمنه فى هذا الوجود ، وان ما تحسبه خدمات
أقدمها إليها لا يعدل ما تؤديه هى الى ، وما تؤديه
أنت أيضا ، من فوائد الى شخصيتى وهى فى سبيل
تكوينها . لا تسخر ولا تتهمنى بالاسراف فى الخيال .
كلا يا اندريه . غدا تزول الحاجات المادية ولن يبقى
لنا غير ذلك الربح المعنوى الذى اكتسبه أحدنا
بمعرفة الآخر .

وختاماً أقول لك ان احوالى التى تريد ان
تصنى الى انبائها سوف احدثك عنها فيما بعد . وأما
روايتى التى كتبت منها قليلا فقد اهملت شأنها منذ
شهور . وقد انتهى رأيى الى استعالة المضى فيها وأنا
فى هذه البيئة الأروبية العاصفة . هذه البيئة الحديثة
وما يسود فيها من جو « المودرنزم » يفسد حسن
فهمى للأشياء ويحول دون تعرفى حقيقة شخصيتى
فى الفن والأدب . أنا أحب « المودرنزم » وأخشى
ان أقول لك انى أقلد أساليبه على الرغم منى . وهذا
بالذات ما يخيفنى ويدعونى الى التريث حتى تهدأ
عاصفة هذا الفن الحديث ونعرف الى أى حد يستطيع
أن يثبت الى جانب الاساليب التى اعترف بها
التاريخ . لقد شاهدت فى المسارح أخيرا قصصا
تمثيلية على طراز النزعة الحديثة مثل قصة
au grand large . كما شاهدت قصص ما قبل الحرب

مثل «الماضي» لبورتوريش و «الجدول» لبيرفولف
واطلعت على رأى النقاد فى ذلك. أتدرى ماذا فضل
النقاد؟ انهم فضلو قصص (ما قبل موجة المودرنزم)
ورأوها هى الخليفة بالبقاء ... ؟

— ٣٨ —

باريس - شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه
لست أدري أمن سوء حظى أم من حسنه
انى أعيش الآن فى اوروبا وسط هذا الاضطراب
الفكرى الذى لم يسبق له مثيل . فهذه الحرب
الكبرى قد جاءت فى الفنون والآداب بهذه الثورة
التي يسمونها « المودرنزم » فكان لزاما على أن
أناثر بها . ولكنى فى الوقت ذاته شرقي جاء ليرى
ثقافة الغرب من أصولها . فأنا موزع الآن ، كما
ترى ، بين « الكلاسيك » و « المودرن » . لا
استطيع ان أقول مع الثائرين فليستقط « القديم »

لأن هذا القديم أيضاً جديد عليّ . . . فأنا مع أولئك وهؤلاء . . . إني أخرج مثلاً من متحف اللوفر متحمساً لأعمال « تسيان » و « دافنشي » و « فلاسكز » و « جويا » و « مملنج » و « فان ديك » لأدخل بعد ذلك توأمعرض الخريف أشاهد أحدث لوحات الفن الحديث بألوانها الصارخة « الفاقعة » وخطوطها البسيطة العارية . إن الفكرة المسيطرة على الفن الحديث هي : الفطرة والبساطة . يطلبون في الفطرة النضارة . ويذهبون في البساطة إلى حد التركيز . لقد غالوا في التركيز لدرجة المنادة بفصل عناصر كل فن عن الآخر فصلاً تاماً . فالتصوير وهو فن الألوان يجب أن يستغنى عن الموضوع : لأن الموضوع من عناصر القصة . والشعر وهو فن الشعور يجب أن يستغنى عن العقل الواعي (مذهب الدادايزم) : والموسيقى وهي فن الأصوات يجب أن

تستغنى عن الشعور. والنحت وهوفن الأحجام يجب أن يستغنى عن الأفكار... الخ... وهذا قليل جداً مما جاءت به نظريات «المودرنزم». ولا أحب الاسهاب فيها لأننى أكره النظريات فى الفن. فالقن عندى خلق انسانى جميل لا أكثر ولا أقل. وقد يكون فى المودرنزم نفسه، على الرغم من نظرياته، بعض جمال. ولكن ذلك لن يدعونى مطلقاً إلى النسداء بسقوط «رفايل» و«لافونتتين» و«بيتهوفن» من أجل ثورة تنادى بها طائفة تحاول بأى ثمن الاتيان بجديد. لقد قرأت أخيراً لكاتبة فرنسية «مودرن» تقول عن حركة «المودرنزم» مامعناه: ان بعد عشرين قرناً من حصاره مفعمة بألوان البراعة الذهنية والحدقة الفكرية وحياة الصالونات والأكاديميات، غدت الدنيا مثل غانية عجوز مفرطة فى الزينة والبهرج والأصباغ بمقدار

بعث في الناس عطشا إلى عصور الفطرة الاولى
بناسها العراة وإحساسها المجرد . وان قيمة الفن
الحديث هي في أنه يحاول أن يعيدنا إلى النضارة
الفطرية البدائية وإلى مصادر الالهام الاولى
قول هذه الكاتبة صحيح . فان مصادر الفن الحديث .
سواء في الروح أو في الاسلوب : مستمدة حقاً من
الفنون الاولى مباشرة . إن أثر مصر القديمة ظاهر في
العمارات الحديثة والنحت الحديث . بل ان الامعان
في طلب الفن الفطري وصل إلى حد استلهم فن
الزئوج . إن أثر الفن الزنجي واضح في التصوير
الحديث والموسيقى الحديثة والرقص الحديث .
سأحدثك في رسالة أخرى عما سمعت أخيراً
من موسيقى . إني لا أترك الآن أسبوعاً واحداً
دون أن أذهب إلى قاعة كونسير «بلييل» أو إلى
كونسير «كولون» أو «بادلو» . بل إني أحضر

حفلتين أحياناً في يوم واحد . ولقد حضرت الاسبوع
الماضى ثلاث حفلات موسيقية في يومى السبت
والأحد . فقد أدوا فى الأولى : « ذهب الرن »
لفاجنر . وفى الثانية « السانفونى فانتاستيك »
لبرليوز . وفى الثالثة « السانفونى » السابعة لبيتهوفن .
سوف أحدثك أيضاً عن الموسيقى الاسبانية وقد
حضرت فيها حفلتين إحداهما للموسيقى « هافتلر » . كما
إنى أحدثك عن الموسيقى الروسية بعد أن سمعت
للمرة الثانية « سادكو » لمسكى كرسا كوف ...
على ذكر « فاجنر » وصداقته المعروفة للفيلسوف
« نيتشه » كدت ألس بنفسى أثر تلك الصلة الفكرية
بينهما وأنا أصغى إلى نغمة « سيغفريد » المتكررة ...
تلك التى يسمونها الـ Leitmotiv ... ان استخدام
« فاجنر » لنغمة واحدة بالذات يطلقها رمزاً لكل

— ٤٣ —

بطل من أبطال « أوبراته » ويجعلها تعود كلما ماذا
البطل إلى الظهور ، لتذكرنى بكلمة « نيتشه » :
هنالك حادثة متكررة تعود من آن إلى آن فى
حياة كل انسان ...

— ٤٤ —

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

أرسل اليك ما كتبتة من الرواية منذ شهر
وهو كما ترى فصل وثىء من فصل . اقرأها واخبرنى
برأيك . وثق كما أخبرتك انه ليس فى عزمى مطلقاً
أن أتم هذا العمل رواية ~~ص~~ كاملة للأسباب التى
ذكرتها لك . وأزيد عليها سبباً آخر : انى لا أدرى
بأى أسلوب بدئت وبأى أسلوب تختم . فأسلوبى
الآن خاضع لتطورات سريعة مستمرة . ولقد سبق
لك ان اطلعت على قطعة « الحلم » التى أرسلتها

— ٤٥ —

اليك وهي مختلف في أسلوبها عما ستقرأ من هذه
الرواية . على أن الذي أرجوه منك هو أن تعيد إلى
المخطوطة بعد قراءتها لأنني لا أملك نسخة
أخرى... م

— ٤٦ —

باريس - شارع بلبور في . .

عزيزى اندريه

نفذت طلباتك بالتمام ، وعلمت أن جرمين لم
تبطيء عليك في رسائلها عن قصدي . . لا تجعل
الخيال يضلك أنت أيضاً أيها المتشدد بكلمة
« الواقع » ، آه الآن هممت أنك كنت ظالمى
بسفريتك من حبي المنعوس وعواطفى وخيالى ؟ . .
لقد انتقم لى القدر !

والآن دعك من تفاصيل الحياة التافهة .
حدثنى بمخاطر بعيدة عن التفاصيل . مخاطر
منعها تفاصيل وليس فيها تفاصيل . ماقيمة التفاصيل

في هذه الحياة إن لم تكن لاستخراج قوانين عامة
أو أفكاراً جميلة ؟ يسرنى كثيراً أن أراك قد هدأت
لنسترجع فيك « اندريه » الواقعي الرزين المازح .
أما نواحي ضعفي التي أشرت إليها فاني أحب أن
أعرفها واضحة جلية وإلا فلست لي بصديق . وأما
الموسيقى فقد سمعت في السبت الماضي « السانفوني
دومستيك » لريتشارد سترأوس ، و« أغاني الأناضول »
لموسيقى تركي هو « جمال راشد » وقد سررت
كثيراً بهذه الأغاني لأنني استطعت أن أتنبأ بحالة
موسيقانا القومية في مصر والشرق لو وضعت داخل
هذا الإطار الفني L'orchestration ويظهر لي أن جمال
راشد قصد إلى ذلك : غير أنه فيما يخيل إلي قد
أسرف في تقليد الموسيقى الروسية فلم أتمكن من
تعرف ملامح الموسيقى التركية في صميمها إلا في
قطعة واحدة .

ولقد ذهبت أمس « الأحد » إلى اللوفر
كمادتي . وإنك تعلم لماذا أواظب على الذهاب إلى
اللوفر كل أحد . فهذا هو اليوم المخصص للدخول
بالمجان . وإنني لأنفق طول يومى هناك دون أن
أحس مر الوقت . بل إننى أدركت منذ أسابيع
خطأ التوزيع بين قاعات المتحف فى يوم واحد .
ذلك شأن المشاهد السريع . أتدرى ماذا أصنع الآن
يا أندره ؟ إننى أخصص يوما كاملا للقاعة الواحدة .
فأنا لست سائحا متعجلا . انى أبحث أمام كل لوحة
عن سر اختيار هذه الألوان دون تلك . وعن
مواطن برودتها وحرارتها . وعن رسم أشخاصها
وبروز أخلاقهم واتساق جموعهم وحركتهم
وسكونهم . كل لوحة فى الحقيقة ليست إلا قصة
تمثيلية داخل إطار ، لا داخل مسرح ، تقوم فيها الألوان
مقام الحوار . إننى لأنى كادأصغى إلى أحاديث الأبطال

وهم على الموائد في أفراح « قانا » لوحة « فيرونيز »
وأكد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشارين ورنين
الكؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دن إلى دن .
إن طريقة إبراز كل هذه الحياة بالريشة لقريب من
طريقة إبرازها بالقلم . ان أساس العمل واحد فيهما :
الملاحظة والاحساس ثم التعبير بالرسم والتلوين . بل ان
الروح أحيانا ليتشابه . لطالما وقفت عيناى طويلا على
صفحات ناثرا وشاعر ، وانا كالأخوذ ، أفحص السطور
بيدي لأتبين ان كانت من مداد أو من أثر . ان روح
الكاتب أو الشاعر لتشف أحيانا وتنف وتتحرك في
الأجواء بلطف كأنها نسيم راقص ... هذا الشعور
ملا نفسى وبصرى أمام لوحة مثل لوحة « الريع »
لبوتيتشيللى التى يصور فيها رقص « الحسان
الثلاث » فى غابة البرتقال و « فينوس » قربهن تتبع
بيدها وقع الخطى . و « النسيم » من حولهن يعانق

— ٥٠ —

الأزهار... أو مثل لوحة موريللو عن « صعود
المنراء » وهي في جلالها الطاهر تحترق السماء وفي
ذيلها القمر ومن حولها الملائكة... ان الشعر والرقص
والموسيقى ليتناثر أريجها مجتمعة في جو مثل هذا
الفن العظيم... ما

— ٥١ —

باريس — شارع بلبورلى ...

عزيزى اندريه

سررت لخطابك الضخم الذى انهلت على فيه طعنا
وتقطيعا وتجريحا . ولا أستطيع كيف أشكر لك
عنايتك بتحليل شخصيتى المنكودة . ومع انك تزعم
ان قسوتك كان الدافع إليها الانتقام فهذا عندى لا يغير
شيئا من جوهر الموضوع مادامت النتائج التى وصلت
إليها صحيحة . نعم ان خيالاتى الكثيرة التى أحيا
بينها تسبب لى تارة الآلام ، كما تقول : وتارة
الأحلام التى لن تتحقق يوما . هذا صحيح .
واكثر منه يا اندريه ان خيالى مع الأسف ليس

من نوع الخيال المثير الذى خدّم الشعراء والكتاب
بل هو من نوع الخيال المهلك الذى أضاع فى وديانه
السحيفة كثيرا من عاثرى الحظ الذين حسبوا أنفسهم
شعراء زمنا طويلا وهم ليسوا بشعراء . ثم هنالك
شئ آخر أخالك لم تلتفت إليه هو طبيعتى التى تميل
إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعا من أوضاع ،
هربا من الوقوع فى الابتذال وشغفا جنونيا بالتميز
والأغراب . ففى لبسى لا أرتدى كما يرتدى الآخرون
ولا ادخن لأن التدخين عادة عامة . وربما دخت
لو انقطع الناس عن التدخين . لا أهدى إلى حبيبتي
الأزهار الجميلة ولا العطور اللطيفة بل أهدى إليها
بيغاء فى قفص . ولا أكتب إليها مباشرة عن الحب
بل اتبع طرقا لن يتبعها عقلاء الناس . وتسألنى
بعد ذلك لماذا أحب «المودرنزم» ؟ أليس لأنه أقرب
الفنون إلى الخروج على المتبع المألوف ؟ لقد قالها أحد

النقاد الحاقدين على هذا الفن الحديث : « ان أهل
هذا الفن يأتون كل سخيّف مهجور بحجة حرية
الابتداع والتفنن في الابتكار » . الواقع انى وجدت
في هؤلاء ، لا فقط مأواى ومعتلى ، بل وجدت كل
طبيعتى وما تنطوى عليه من حمق وجنون . لقد
وجدت على الأقل سندا وأساسا لرغبتى المحرقة في
الخروج على ما أسميه « المنطق العام » . وأقصد
المنطق البنى على فروض عامة مصطلح عليها غير
متنازع في صوابها . كالفرض بأن الغيرة مثلا دليل
الحب أو أن الخيانة رذيلة . فالتتائج المترتبة على هذه
الفروض العامة تكون في الغالب هي الأخرى نتائج
عامة . ويصح عندئذ تسمية كل ذلك بالمنطق العام .
أريد أن يكون هنالك منطق خاص ، يحوى فروضا
خاصة لا تخضع للمألوف من الآراء والمشاعر ، كالفرض
بأن الحب لا يحوى غيرة مطلقا ولا يفضا مطلقا .

ومن مثل هذه الفروض تتولد نتائج خاصة . ومن خلاصة كل ذلك يقوم ذلك الذى أسميه (المنطق الخاص) ... لذلك تجدى أفهم حركة « المودرتزم » على الوجه الآتى : هى اتجاه إلى عدم التقيد بالمنطق العام والتزوع إلى المنطق الخاص . كما كان « الرومانتزم » بالنسبة إلى (الكلاسيكيزم) فى بعض مظاهره تزوعاً فى التفكير والمواقف من العام إلى الخاص . مع هذا الفارق فى نظرى بين الرومانتزم والمودرتزم : ان الأول لم يحاول هدم الفروض الأساسية المألوفة أى المنطق العام ، فى حين أن الثانى ينحو إلى هدم هذه الفروض العامة وإحلال فروض خاصة فى مكانها أى إنشاء منطق خاص . سواء كان هذا التفسير صحيحاً أو غير صحيح فهو كلامى الذى يعكس طبيعتى الآن ورغباتى الحاضرة . انه عقيدتى الخاصة فى هذه الأيام لا بالنسبة إلى المودرتزم بل بالنسبة الى نفسى .

صدقت يا اندريه في قولك انى أصلح أن أكون رياضياً وان أفكرى وتصرفاتى تكاد تسير على طريقة هندسية أو حسابية أو جبرية . هذا صحيح . ولا أدري كيف اهتمت إلى ذلك . انا مع الأسف كذلك . وهذا ما سوف يهدم كل عمل مسرحى أو فنى أحاول انشاءه . ان اسقاطى الحياة والعواطف كما هى وكما يراها ويحسها دهاء الناس ، وركونى إلى الطريقة الرياضية فى تصريف أفكارى وتأملاتى لمصيبة كبرى . وإليك دليل آخر فى قطعة (العلم) التى أرسلتها إليك . انك ولا شك لم تجد فيها أى صورة تنطبق على الحياة وعواطف الحياة ، ولكنك قد وجدت ما متمشية مع العقل والمنطق الذى تقتضيه فروض خاصة انشأها انا فى البداية . تلك هى الرياضة : فرض وعقل ومنطق . التصوير الحديث أخرج من حساب العواطف البشرية وجعل

— ٥٦ —

أساسه الهندسة والمنطق العقلي الواعى وغير الواعى
والموسيقى الحديثة أيضا... يا للبلاء ! انى أحب الفن
الحديث وأقلده أحيانا وأخشاه وأخشى منه على
نفسى... ؟

ملنية - أ كثر من رسائلك يا اندريه فهى متعنى
الوحيدة الآن . فأنا محبوس فى حجرتى أستعد
لامتحان الدكتوراه فى أول مارس القادم ... ؟

— ٥٧ —

باريس - شارع بلبور في ...

عزيزى اندريه

يجب أن تعلم انى لم أكن حرا طليقا فى اختيار
الموقف الذى وقفته منك الشهر الماضى . فهناك
عوامل جعلتنى ألتقى كلامك بكل تحفظ وأضع
نصيحى على أساس العقل والحزم لا على أساس الخيال .
وما هو العقل والحزم عندى فى ذلك الوقت ؟ تلك
نقطة الخلاف بيننا . وربما كان سبب الخطأ اعتقادى
أن كل ما بك لا يزيد عن مجرد « مرض الغربة »
دهمك على أثر وحدتك الفجائية ، نفيل إلى أن اللواء
هو فى تشجيعك على الاستمرار فى تحمل هذه

الوحدة . وكان ان ذكرت لك كلمة « ايسن » ،
« الرجل القوي هو الرجل الوحيد » ، وتحاشيت
أن أثير فيك الذكريات الجميلة والتعرق على السعادة
التي خلفتها في باريس . أجل يا اندريه ، لقد كنت
قاسيا عليك فسوة الطيب الذي يمنع الماء عن مريضه
الظمان بحجة الطب والتطبيب . مهما يكن المنطق
يبرر هذا الجرم فان ضميري غير مقتنع . وقد لعنت
نفسى لما سيئته لك من ألم . انك تعرف أنى بطبعى
لست ممن يقفون عادة مثل هذه المواقف نحو
المواطن . انى أحب الحب . وانك لتعرف أن
للحب مقاما كبيرا عندى فى الحياة . فى كل حياة .
وربما كان الحب هو الشيء الوحيد الجميل الذى نعيش
به ومن أجله نحن البشر . آه لو كان القدر أعطانى
هذه المنحة لحظة واحدة ! وجعلنى أجد أحدا يحبنى
حقيقة مرة واحدة ! أنا الذى اعتقد طويلا أن

— ٥٩ —

عظماء الرجال هم عظماء المواطف وأقوياء الرجال هم
أقوياء المواطف . ان الذى لا يعرف ولا يستطيع أن
يجب انسانا لن يعرف ولن يستطيع أن يجب
الانسانية . لقد كان آلهة اليونان يحبون ويتألمون وهم
آلهة . وهم رمز القوة . ان الحب والقوة لا يتعارضان .
ولماذا لا نقول انهما فى عين الطريق يسيران ؟ ليس
عبثا أن تقوم المسيحية على فكرة حب الله مريم
وايجاد عيسى ثمرة لهذا الحب . ان المعانى التى يمكن
استخراجها من هذا الرمز لا حدها ...

لست انا اذن يا اندريه الذى يعيب عليك الاسراف
فى حب زوجك وولدك ، وبعد ... فقد مضت أيام لم
أر خلالها جرمين وجانوا لأنى كما تعلم سجين حجرتى
أطالع وأدرس . ثم لسبب أشد وأمر : الافلاس .
نعم غطاني بردائه الاسود فلم يبق معى غير ثمن
شريحة اللحم . (على حد قولك) من أردإ نوع ... ما

- ٦٠ -

ماشية - بعد أن ختمت هذا الخطاب وصلني
الآن بالبريد السريع رسالة من جرمين داخلها ورقتان
ماليتان بمبلغ عشرين فرنكا (على سبيل الإعانة) كما
تقول . وهو كل ما استطاعت أن تنقذني به . واني
أشكرها وأسأل الله أن لا يوقعها فيما أنا فيه ... ٧

— ٦١ —

باريس — شارع بلبور في ...

عزيزى اندريه

وصلنى خطابك ومعه مبلغ الأربعمائة الفرنكات
وانى أشكرك . الآن تستطيع أن تطمئن على
هدوئى مدة شهر ، على شرط أن لا تسمعنى أنت
ذكر النقود . حبذا لو نسيت استعمال هذه الكلمة
الملعونة بعد الآن فى رسائلك إلى اأملى كبير فى أن
تحقق رجائى ولا تطلب إلى بعد اليوم سنتيا . تلك
يا اندريه هى الطريقة الوحيدة لتصحيح مركزك
المالى ومركزى أنا أيضا . أنا كذلك لن أطلب
عندئذ سنتيا من دائئى . سأعطيه ما أعطيتنى اليوم

— ٦٢ —

وأقسط الباقي ، كما تصنع معي . وبذلك أضمن لك
وأضمن لنفسى تصفية نهائية لهذه الكارثة . على أنك
قد أدهشتنى كل الدهش إذ لا تزال تذكر على سبيل
الجد تلك الحكاية القديمة التى أخبرتك بها : رصيدى
فى البنك لذلك المبلغ الصغير الذى ربحته ثمننا لرواية
تمثل لى فى القاهرة . ألا أنى واضع همى فى أعماق
نفسى لا أجاهر بالشكوى ولا أتفجع ولا أتوجع
تظن أنى نائم على رصيد فى بنك ! أغاب عنك أيها
المحترم انى أحببت : وان حبي كان مما يتغذى بالنقود
كما تتغذى النار بالوقود ! إنك تذكر جيدا ان
الرصيد قد ذهب فى هدايا النويل والمطاعم الغالية
من بوكاردى إلى حان الأب لويس . والملاهى الفاخرة
والمسارح العامرة ! أنا أيضا على ديون مثلك وما
تسدده لى يدخل فى جيوب غيرى . حالى مثل حالك .

— ٦٣ —

على أنك أنت قد خربت وبقى الحب . أما أنا فقد
خربت وضاع الحب ...

وبعد فاني الآن جاد في الاستعداد للامتحان
في أول مارس . وهي آخر فرصة لي . فاذا ضاعت
فاني أقطع الأمل نهائيا في نوال الدكتوراه . ذلك
ان البرنامج بعد ذلك يتغير وبهذا يذهب هباء كل
ما قرأت فيما مضى . ثم اني لن أستطيع التقدم مرة أخرى
إلا بعد مرور عام على الأقل ، بالبرنامج الجديد . فأول
مارس كما ترى هو التاريخ الفاصل في أمر مستقبل
الدراسي للقانون . وفشلي فيه سوف يكون صدمة
كافية أن تقصيني الى الأبد عن طريق الحقوق .
فهذا الامتحان هو حدث هام في حياتي . ولا أريد
أن أتهاون فيه حتى لا تلقى التبعة على وعلى ارادتي .
فأنا أجهد نفسي فوق الطاقة لأضع التبعة على رأس
القدر . فاذا أراد هو أن يصدمني ليخرجني من سجن

— ٦٤ —

القانون إلى قضاء ... إلى أي قضاء ... فتلك اذن ارادته
هو لا ارادتي .

ارجو ان تعيد الى الرواية بالتالى . فأنا لست ادرى
ماذا قام برأسى فجعلنى ارسل إليك شيئاً مثل هذا
لم يتم . وحبذا لو اعدتها قبل ان تقرأها . اما اذا
كنت قد قرأتها وقضى الأمر فاكتب إلى برأيك
فيما قرأت ... ؟

حاشية — فأنى ان اخبرك انى ذهبت منذ يومين
لمشاهدة « اندروماك » لراسين فى الكوميدي فرانسيز.
وقد خطر لى ان اصطحب جرمين . ولكنى بحثت
فى جيبى فلم اجد معى غير ثمن مقعد بالمسرح « فى
اعلى عليين » ... وحتى لو كان معى اجر مقعد آخر
يجانبى لخرجت ان ادعو اليه جرمين ... ان الارتفاع
والعالو موضع فخر فى كل شىء الا فى المسارح ! :

آه يا اندريه ... ان تمثيل التراجيديا عمل ليس بالهين .
ذلك ان المطلوب من الممثلين ليس مجرد تفسير
النصوص طبقا للروح الفلسفية والاسطورية التي
تنطوى عليها هذه الآثار ... ولكن كذلك طبقا
لأوضاع الفن « البلاستيك » كما عرفه الأغريق .
ان كل وقفة فوق المسرح من وقفات ممثل التراجيديا
يجب أن يكون لها جمالها المثالي في فن النحت . كل
ممثل أو ممثلة للتراجيديا يجب أن ينتقى من بين أصحاب
الأجسام التي تصلح في ذاتها نماذج فنية للمثاليين .
ان الصلة الوثيقة جدا بين فن النحت وفن تمثيل
التراجيديا ... كما هي وثيقة بينه وبين فن الموسيقى .
ان أصوات ممثلي التراجيديا لا تنتقى عفواً ولا تلقى
عفواً . فليس الالتقاء الطبيعي هو المطلوب في
التراجيديا ، كما هو الحال في الدراما أو الكوميديا .
ولإنما يجب أن يكون الصوت والحركة في التراجيديا -

كما هو الحال في « الأوبرا » - خاضعين قبل كل شيء للأوضاع المعروفة في فنون النحت والموسيقى والعمارة والتصوير . لذلك كنت مخطئاً في حكمي يوم شاهدت لأول مرة في الكوميدي فرانسيز ممثلة التراجيديا « سيجون فيير » والممثل التراجيدي « أليير لامبير » يلقيان الشعر على نحوٍ اعتبرته أنا خارجاً على الطبيعة . وهل الشعر بنظمه وقوافيه وأوزانه الموسيقية إلا من الفنون الخارجة على الطبيعة ؟ .. وما دام هو كذلك فيجب أن يؤدي متسقاً لامع الطبيعة ، ولكن مع غيره من الفنون التي تتصل بها التراجيديا

— ٦٧ —

ماريس - شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

لاشك انى لست كريم الخلق بالفطرة والسليقة .
أمس هبط على الشاعر البارناسى فى حال يرثى لها ،
فلم أمد له يد المعونة كما ينبى . يجب قبل كل شىء
أن تعرف من هو هذا الرجل عندى ؟ انك لم تره
غير مرة واحدة معى فى قهوة « الدوم » . وقدناظك
منا اشتغالنا عنك بمناقشات فنية طويلة عن الفروق
الدقيقة بين المدرسة الايطالية والمدرسة الفلمنكية
فى التصوير . فتركنا ساخرأ وأنت تهمس فى أذنى :
« أين هذا الشيخ المتهدم الذى جاوز الثمانين من تلك

الصبيبة الحسنة التي تنتظرني في «الروتوند» ؟
ولكنك تذكر أن اغراءك في تلك المرة لم يصادف
عندي نجاحا . ان الجلوس إلى ذلك الشيخ المتهدم كان
ينسيني مفاتيح الدنيا . لأنه كان يريني مفاتيح الفن .
هو الذي فتح بصري على جمال الفن «البلاستيك»
من نحت وعمارة وتصوير . كما أراح لي مسيو «هاب»
الستار قبل ذلك عن جمال الآداب القديمة . فقرأ
معى الالياذة وبعض مآسى سوفوكليس وأيروبيد
واشيل وكوميديات ارسطوفان ... ثم ترك حبلى على
غاربى ، وقد تمكن منى داء المعرفة . فتركته
وانطلقت وحدى التهم كل شىء من قديم وحديث .
وكما حدث مع والدتك يوم كنت أقطن عندها في
«كوربوا» . وتذوقت لأول مرة غناءها
للأوبرات . فنكنت أنزعها من المطبخ انتزاعاً
لتذهب إلى البيانو «بفوطتها» تغنى لى المقطوعات

الجميلة في «كارمن» و «فاوست» و «اجراس
كورنفيل». إلى أن عرفت طريق دار الأوبرا
والأوبرا كوميك ثم قاعات الكونسير «كولون»
و «جافو» و «بادلو». فلم أعد إليها بعد ذلك قط.
على أن والدتك وكذلك مسيو «هاب» ليسا في
حاجة إلى حسن المعاملة. أما ذلك الشاعر المسكين
فله شأن آخر. انه لا يكاد يجد الآن ما يسد بهرمقه.
انه كان شاعرا معروفا يوم أخرج مجموعة شعره
الكبرى. ولقد أراى نسخة من الطبعة الأولى
صدرت منذ نصف قرن، وقصاصات من نقد ذلك
المهد تنمته بأنه من أركان مذهب «البارناس»
ولكن الشعر لا يستطيع أن يقيم أود انسان إلى
ما بعد الثمانين. فهو اليوم بائس حقاً. يعيش في حجرة
قذرة «مانسارد». ويأكل مما تجود به معونة
أصدقائه. ولعل أكثرهم قدماء الآن. وهو قد

فرح بي يوم عرضت عليه أن يقودني إلى المتاحف
وأثار الفن وأن يلزم أحدنا الآخر كلما استطعنا
إلى ذلك سبيلا . على أن أنكفل أثناء ذلك بنفقات
غداثه وعشائه وتبغته وشرابه . وهو يستحق أكثر
من هذا ولكن ماليتي كما تعلم محدودة . ومع ذلك
فما كنت أتركه بعد كل لقاء دون أن أدم في يده
ورقة مالية صغيرة . وأنا أقول في نفسي « اجعل انك
اشتريت بهذا المبلغ كتابا » وما أكثر الكتب
التي أبتاعها في كل يوم كما تعلم بالمال المخصص لكسوة
الشتاء . على أن هذا الرجل كان لي خيرا من ألف
كتاب . انه كتاب حي متنقل مترك قاعة في متحف
اللوفر ، أو حديقة فيها تماثيل ، أو كاتدرائية أثرية
دون أن يذهب بي إليها ويقف بي عليها شارحا مفسرا .
إني لم أزل أذكر لقاءنا الأول وقد أحضر معه إلى
القهوة « صرة » صغيرة . سألته عنها دهشا .. ففتحها

بمحرم واعتزاز دون أن ينبس ... فاذا هي مجموعة
أثرية صغيرة . عن المصور الحجرية الأولى . أو ما
يسمونه « المجاليت » وأخذ يوضح لي المظاهر الأولى
لفن العمارة في « المنير » و « الدولن » ... ذلك انه
أراد أن أبدأ في معرفة الفن من البداية ... فأراني
تطور النزعة الفنية منذ الانسان الأول .. وقادني إلى
متحف التاريخ الطبيعي .. ثم إلى دار الكتب ...
وهناك رأيت لأول مرة تمثال « افروديت » بغير
رأس ولا ذراعين ولا ساقيين . ولكن أي جمال !
« لا شيء أجمل من جسد امرأة » تلك هي الصيغة
التي لمظناها أمام هذا التمثال . لقد قلت لصاحبي
الشاعر يومئذ اني قد فهمت المعنى الحقيقي لكتاب
« بير لويس » عن افروديت . انه ولا شك قدر آي
من تمثالها هذا ما رأينا .. كيف استطاع ذلك
النحات الاغريقي أن يستخرج من تدين وردفين

(لأن التمثال ليس أكثر من ذلك) جمالا ارتفع
القدسية ؟ « بيير لويس » أراد ذلك أيضا بلا
جدال ، فأشاد بحسد المرأة إشادة لم تفهم أحيانا علي
الوجه الذي أراد ... وهكذا كنا نتعادت ونتناقش
أمام كل تمثال أو صورة أو أثر فني ... ويمرنا الحديث
من فن إلى فن ، ومن مقارنة إلى مقارنة . فالآداب
والفنون والعلوم وكل مظاهر النشاط الذهني متصل
بعضها ببعض إلى حد قد لا يصدق لأول وهلة .
فالمرقة سائل في إناء عناصره كل هذه الأشياء ...
وأخيرا جاءت الساعة المحتومة . لقد تفتحت عيناى
واتهى الأمر ... وعرفت كيف أبصر دون حاجة
إلى دليل . وعرفت كيف أقرأ في ذلك الباب . فهذا
(هيبوليت تين) و (جان مارى جويو) و (جرانث
ألن) و (جون رسكن) و (سالون ريناخ) الخ ...
وعشرات الكتب الفنية المصورة عن أعمال المصورين

والنحاتين . وهذا هو (اللوفر) و (اللوكسمبورج)
و متحف « رودان » والمعارض السنوية الدورية .
ثم بعد ذلك كله وهو الأهم ... هذا هو تفكيرى
الشخصى قد تكون بعض الشيء ونظرتى الخاصة
بدأت تطالبني بأن أستقل فى التأمل والتقدير
والاستنتاج . جاءت اللحظة التى شعرت فيها بوجوب
السير بمفردى ... وكانت بوادرها ذلك اليوم الذى
أدركت فيه ان محادثات ذلك الشاعر لم يعد فيها
جديد يثير اهتمامى أو التفاتى . ولقد شعر المسكين
بذلك فكف عن الحديث فى الفن . وندرت مقابلاتنا
واقصر الكلام أثناءها على التافه من أمور الدنيا .
إلى أن انقطعت . وانصرف كل إلى شأنه . فأصبحت
لا أراه إلا إذا اشتدت به ضائقة ارغمته على اقتراض
بعض النقود منى . ولقد جاءنى أمس كما قلت لك فى

الصباح المبكر فاستيقظت ساخطا متبرما فأبصرته
يرتعد من البرد ويقول لى : « إذا لم أجد دثارا ثقيلا
فى هذا الشتاء فانى لن أظل حيا حتى مطلع الربيع »
فلم أرد عليه بكلمة . ولكنى أخرجت له ورقة
مالية صغيرة وضعتها فى كفه كأنه شحاذ . فرفع
الشيخ قبعته شكرا وانصرف صامتا . وعدت إلى
فراشى لأستأنف رقادى . فقد سهرت ليلتى اطالع
كالعتاد . ولكن النوم هرب منى . لقد تنبهت
لما حدث . وتمثل لى سوء فعلى : كيف اصنع معه
ذلك ؟ وكيف اتركه يذهب هكذا بقليل من نقود
لن تغنيه شيئا . وتذكرت هيئته الذليلة ساعة
انصرافه صاغرا مدعنا لحكم القدر او حكمى انا
على الأصح . وكانت آخر لفظة قالها برغم ذلك هى
merci beaucoup خرجت من فمه خافتة مخلصه

— ٧٥ —

لا اثر للمرارة فيها ولا للعتاب . . . هنا ادركت
انى لو كنت حقاً كريم النفس لألقيت على
منكبيه الهزيلين معطفي بغير تفكير ولا تدبير
ولا تردد . . . ؟

— ٧٦ —

باريس — شارع بلبور في . . .

عزيزى اندريه

لقد لفظ القدر كلمته . انه لا يريد لى طريق
القانون . لقد رسبت فى ثلاث درجات . ولم ترد لجنة
المحلفين جبر النقص بينما وافقت لجنة اخرى على جبر
اربع درجات لأحد اعضاء البعثة . من هذا ترى ان
القدر لم يرد ان يمد إلى يده كما مدها إلى غيرى .
لماذا ؟ اياك ان تفهم انى تهاونت فى الدرس . لقد
كانت اجابتي مرضية جدا فى علم تاريخ المبادئ
والمذاهب الاقتصادية (آراء ارسطو حتى آراء كارل
ماركس) وكذلك فى علم الاقتصاد السياسى وكذلك

فى علم التشريع الصناعى . ولم اهبط الى حد الرسوب
إلا فى علم واحد هو علم « المالية » (ولعل هذا يفسر
لك ارتباطك ماليتى) . انه علم اجراءات وارقام لا تستقر
فى ذاكرتى . آه للذاكرة يا اندريه . ما دامت
الذاكرة هى المعول عليها الى حد كبير فى الامتحان
فلا امل لى . اما المطالعة فى ذاتها فما يسرها وما لدها
عندى . انى اطالع فى اليوم ما لا يقل عادة عن مائة
صفحة فى مختلف الوان المعرفة (من ادب وفنون
وفلسفة وتاريخ الى علوم رياضية وروحانية) مائة
صفحة فى اليوم اى ثلاثة آلاف صفحة فى الشهر .
بينما المقرر كله لامتحان الدكتوراه لا يتجاوز ثلاثة
آلاف صفحة فى العام كله . لو تعلم انى قرأت مقرر
الدكتوراه للقانون العام وهو عن : « سلطة الكنيسة
والدولة » و « نظام العبادات منذ القرن الرابع عشر »
و « عصبة الأمم » و « المبادئ البارزة للقانون

الدولى ، و « ام اتجاهات قضاء مجلس الدولة » و
« اللساتير المكتوبة » . قرأت ذلك كله دون ان
اتقدم فيه الى اى امتحان . قرأته لجرد القراءة .
وما قراءة مقرر عندى إلى جانب قراآتى الأخرى !
ألم أخبرك أنى تتبعت كثيرا من دروس السوربون
لغير غاية الا تتبع آثار الثقافة التى تعينى . لقد حضرت
كثيرا من محاضرات الأستاذ برنشفيج عن « صلات
العلم بالدين فى القرن السابع » ومحاضرات دلا كروا
عن « الأحوال النفسية للفن » . ودروس روين عن
« المذاهب الأخلاقية والسياسية لأفلاطون
وارسطو » . ودروس فوجير عن « مصادر فن
العمارة الاغريقية » و « آثار اكربول ائينا » .
ومحاضرات شنيدر عن « ميكل انجيلو وعصره » .
ومحاضرات برونو عن « الثورة واللغة » . ومحاضرات
لجويس عن « تاريخ الشعر الانجليزى » الخ . لم يمنعنى

الانقطاع عن الحى اللاتينى من متابعة هذه الدراسات
فقد استحضرت كتبها وانغمست فى مطالعتها
لنفسى ، وسرت على دربها وأنا فى حجرتى . ان
التحصيل فى ذاته للثقافة والتكوين هو لذتى الكبرى
الآن . انما الذى يخيفنى هو الامتحان . لقد تحقق
لدى اليوم انى لا أصلح بطبعى للتقدم إلى أى امتحان .
ذلك ان الامتحان يريد منى عكس ما أريد أنا من
القراءة . انى أقرأ لأنسى . والامتحان يريد منى أن
أقرأ لأتذكر . انى أقرأ لأهضم ما قرأت أى أحلل
مواد قراءتى إلى عناصر تنساب فى كيانى الواعى
وغير الواعى . أما الامتحان فيريد منى ان احتفظ
له بهذه المواد صلبة مفروزة . انى اشعر وانا أقرأ حقى
مقرر الدكتوراه فى القوانين ان مواده قد تفككت
واختلطت بمواد أخرى لقراءات أخرى لا علاقة لها
بالقانون ، كما تختلط فى المعدة المواد الغذائية بعضها .

— ٨٠ —

ببعض . وإذا الناتج من هذه المواد المختلطة هو عصير
تقافى يسرى فى دى المعنوى فأحس كأن وزنى
الفكرى قد ازداد ، وكأن قدرتى على احتمال التأمل
المثمر قد نمت . أما المواد الغذائية فى ذاتها فقد
هضمت أى نسيت . الامتحان يريد منى ان أوقف
عملية الهضم حتى يتحقق الممتحن من وجود المواد
صلبة مفروزة داخل المعدة الدهنية .

لا أريد بذلك أن أعيب نظام الامتحان فى
ذاته . إنما انا اعيب نظام بنيتى الفكرية . انى سريع
الهضم إلى حد قد يعد مرضاً فى نظر الممتحن . ومع
ذلك لماذا أتقدم لممتحن . ما دمت قد تناولت الغذاء
واحس حرارة الدم القوى تفور فى رأسى فلماذا
ادع الناس يفحصون ما فى معدتى ؟ ! .

أترانى ادافع عن نفسى والتمس الاعذار
يا اندريه ! لست ادرى . هانت ذا ترانى غير يأس

ولا ساخط . وإني أتقبل الصدمة باسمًا لأنها لا تدل
على شيء ، إلا على قرب وقوع الكارثة العظمى :
تركي أوروبا والعودة إلى بلادي ...

لقد لفظ القدر كلمته . ولا جدوى من الإصرار على
معارضة القدر . لكن... أترأها يا أندريه إرادة القدر حقًا
أم إرادتي أنا ؟ من الانصاف أن أخبرك بشيء عجيب :
لقد قرأت منذ أسبوعين كتابًا جديدًا لأحد معاوني
فرويد عن « القدر » . ذكر فيه أننا نحن الذين نصنع
أقدارنا بأنفسنا . وإن ما نسميه القدر ليس إلا إرادتنا
غير الواعية . ورب حادث صغير أو حلم من الأحلام
أو نبوءة من النبوءات نصدقها فتستقر في أعماقنا
وتعمل سرا على دفعنا في سبيل تحقيقها . فلقد حدث
لي مثل هذا الحادث . كان ذلك آخر ليلة استعد
فيها للامتحان . لقد سهرت إلى الرابعة صباحًا تحت
مصباح المكتب الصغير . حتى أتممت مراجعتي الأخيرة

— ٨٢ —

فطويت الأوراق والكتب ونهضت للنوم كي أستيقظ
نشيظا للامتحان . وكنت منشرحا متفائلا مفعما
بالأمل لامتلا كي ناصية المقرر . وإذا فجأة تصبدم
يدى بالمصباح فيقع مكسورا على أرض الحجرة تاركا
كل شيء فى الظلام . عند ذاك دب التشاؤم فى نفسى .
وحدثنى نفسى بسوء الختام . فى هذه اللحظة فقط
كان فشلى قد تقرر . كما تقرر مصير « مكبث »
ملكاء مجرماء فى اللحظة التى آمن فيها بنبوءة الساحرات .
سواء كانت تلك إرادة القدر أو ارادتى فقد
فشلت يا اندريه . فارث لى . . . م

حشية — لماذا لم تعد إلى الرواية بالتالى . انى دهش
لاغفالك خبرها ! . . . أتراها لم تصل إليك ؟ . . .

— ٨٣ —

باريس في ٢٤ مايو . . .

أندريه . . .

بعد بضع ساعات أكون قد فارقت باريس
المحبوبة ..

أسافر هذا المساء بقطار الساعة التاسعة . وغدا
٢٥ مايو تكون الباخرة « راو ليندى » قد اقلعت
حاملة جثمانى ، وان يسألونك عن الروح قل روحه
في قاعة كونسير « بلييل » . . .

اندرية ، لست أملك الآن من أمرى شيئا ،
الا الابتسام في وجه القدر الظافر . ولعل هدونى
راجع إلى توفى هذه الكارثة ، التي تعرف إلى طالما

ترقبت ساعتها بذعر وقزع . لقد وقع الأمر المحتوم .
فما نريد أو أريد ؟ أملى الباقي معلق عليك . رسائلك
يا اندريه على الأقل ! رسائلك تحمل إلى في صحرائى
نسيم أوروبا العظيمة !

أودعك يا اندريه وداعاً حاراً . وأودع جرمين
وجانو وقد رأيتهما أمس للمرة الأخيرة . أودعكم
وأودع فيكم باريس الفن والفكر . . . ؟

حاشية - كنت أريد أن أحدثك عن موسيقى
اليوم (ميلهو - روسل - هونجر - سترافنسكى)
بمناسبة حفلات هامة قامت بها فرق أجنبية في باريس
في الشهرين الأخيرين: فرقة ألمانية بقيادة «مانجلبرج»
وأخرى نمساوية بقيادة «برونو فالتر» . ان طرق هذه
الموضوعات الآن لما يزيدنى ألماً . على أنى أحب أن

أقول لك ان سخطى على سترافنسكى يوم نشر نقده
المقذع لفاجنر ويتهوفن قد زال بعضه عند سماعى
قطعته « تقديس الربيع » مرة أخرى . إنه على كل
حال تعبير قوى لاتجاه جديد فى الموسيقى وأغراضها
كما يفهمها هذا الروسى الثائر .

نسيت أن أخبرك فى رسالتى السابقة انى
شاهدت رواية « هاملت » فى الشهر الماضى يمثلها
خير ممثل فى ايطاليا حذق هذا الدور وهو (روجيرو
روجيرى) وكنت قد شاهدتها قبل ذلك من تمثيل
(موييسى) وهو خير من قام بهذا الدور عينه فى
ألمانيا ... إن مجال المقارنة بين الفنان لما يحتاج إلى
رسالة طويلة . ويكفينى أن أقول لك انه لا يوجد
مكان فى العالم ترى فيه الفنون كلها مجتمعة سوى
باريس . باريس هى (قرينة) العالم . نعم ... هى

— ٨٦ —

الواجهة البلورية التي تعرض خلفها عبقرية الدنيا . . .
أكرر وداعى لك ولباريس وأحنرك يا اندريه من
أن تحرمنى وأنا بمصر هذا الاتصال بالوان
الفن . . . ؟

— ٨٧ —

الاسكدرية في ١٢ يونيو . . .

عزيزى اندريه

أحفظ لك في نفسى جيلا يضاف إلى سوابقه :
رسالتك الطويلة التي بادرت بإطلاقها في أثرى ،
فأدركتنى ولما أتم الأسبوع في بلادى . إذا أردت
أن تعرف مقدار اغتباطى بهذه الرسالة فاذا كر أنك
ضمختها بعطر فرنسا المأسوف عليها .

أود لو أكتب إليك بأخبارى ومشاعرى ،
ولكنى أراها لا تساوى شيئا كلها . أهى شىء غير
اطراق طويل وابتسامة حزينة ، كلها رافة ورثاء
لكل ما يقع أمامى ها هنا ، وبأس قاتل وتحرق دائم ،

— ٨٨ —

وأيام تجرى كالدموع الباردة ، وحياة أتمنى ردها
نخالقها ان لم يعطنى حق استعمالها كما أريد ! هل ترانى
مستطيعا أن أكون شيئا غير ذلك الآن ؟ !
أختم خطابى سريعا خشية أن يفوت موعد
البريد المسافر إلى أوروبا هذا الأسبوع . وإنى أترقب
رسالة منك : فأنت الذى يقدر على إمتاعى بالطريف
القيم ، أما أنا فما عندى شيء مفيد أقوله لك ... ؟

— ٨٩ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

ها انذا أسرع فى الرد على رسالتك راجيا أن
تصلك خلال شهر الراحة كما تقول . وكل أملى أن
يجيئني منك رسالة عاجلة شافية تربو صفحاتها علي
العشر . فانت أول ما يعنينى معرفته حين استلام
رسائلك هو وزنها وحجمها غير حافل بما تحويه من
كلام . فأنا فى حاجة كما ترى إلى مجرد ثرثرتك . أما
أنت فما أظن بك حاجة إلى أخبارى . لأنها راكدة
كلما راكد . ولو بدا تغير قليل فى مجراها لبادرت
باخطارك . كل ما عندى هو أنى أعيش فى جو فكرى

— ٩٠ —

— ان كان فى مصر ما يجوز أن يسمى بالجوالفكرى —
لا يستطيع أن يعيش فيه مثلى . وأصدقاء الماضى
أصبحوا لا يصلحون اليوم لى ، فحديثهم
ونسكاتهم وطريقة قتلهم للوقت لما يزهدنى فى الجلوس
إليهم . وان شئت وصفا دقيقا لحالى فهو يتخلص فى
كلمة واحدة : الوحدة . الوحدة فى أ كمل وأقى
معانيها . امضى اليوم فى القراءة فاذا جاء الغروب
خرجت الى (كازينو سان استفانو) لأسمع القليل
من الموسيقى التى يعزفونها هناك . وحتى فى هذا
المكان الصاخب باللاهين أحرص على وحدتى فاتروى
خلف عامود قرب (الأوركستر) متعاشيا نظرات
من أعرف حتى لا أ كلف نفسى عبء التحية .
وهل تتصور أن يكون حالى غير ذلك ؟

لا أ كتمك يا اندريه ان صرخة خرجت من
أعماق قلبى عندما قرأت فى رسالتك خبر حريق

— ٩١ —

قاعة كونسير (بلييل) ان المي لهذا الخبر سيتضاعف
كلما ذكرت ان هذا الهيكل العظيم هو عندى رمز
من رموز الفن فى باريس . اكتب الى كتابا مطولا
اذا كنت تعتقد ان اسمى واجباتك نحوى هو التفضل
على ساكن الصحراء ببعض نفحات أوروبا العاطرة ..؟

— ٩٢ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

تعبت من كل شيء ، ومن كل انسان ، ويئست
من أن بلدا كمصر يصبح في يوم قريب ذا حياة
فكرية . لا حياة في مصر لمن يعيش للفكر . . .
لا يشغل عقل الساعة غير شيء واحد ، ولا يلذ لي الا أمر
واحد : تحطيم كل شيء . تحطيم كل شيء هام . وابدأ
بمستقبلي ، الذي يلوح لي انه بدأ يتفتح عن وظيفة في
القضاء . . . حينذا لو استطعت تحطيمه لأهيم
على وجهي في بلاد الأرض ، لا تحدنني غاية ولا
يوقفني غرض .

— ٩٢ —

وصلتني اليوم بطاقة البريد المصورة من (ليل) ،
فغبطتك ، انك الآن في شمال أوروبا . يا للحظ
الجميل !

أشعر اني لا استطيع ان أكتب إليك أكثر
من ذلك . وحرصى على ميعاد قيام البريد يدفعنى الى
ختم هذه الرسالة عاجلا . وبذلك تصلك منى كلمة على
اى حال . اريد ان اكتب الى جرمين . فأنا شديد
الشوق اليها والى الصغير الجميل (جانو) ... ؟

— ٩٤ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

الحق انى راض عنك كل الرضا ، شاكر لك كل
هذه العناية . ولا اکتتمك انى ما كنت اصدق وانا
مغادر باريس ان اتصالك بى سوف يكون بهذا
المقدار . لقد كنت احسبك ستصرف عنى الى
حالك فلا تكتب الى الا بقدر ما يقطع شكى فى
وجودك . أما الآن فقد ثبت لدى أمام رسائلك
المتتالية انك لا تكتب الى أداء لواجب . أتراك تحس
ان اخبارك وأحوالك لها شأن عندى ؟ هى الحقيقة
يا اندريه . مامن انسان يتتبع الآن احوالك مثلى .

حدثني عن نفسك كثيرا وعما حولك . اريد ان
احدثك عن آلامي ولكنى لا انسى سخريتك ولذعك
وهزئك بكل جد . هذا القلم فى يدك اتبين دماء
(فولتير) تجرى فيه احيانا ، فينبئنى قلبى بأنك لن
تكتب الى ردا يجعلنى اطمئن اليك . فلا تؤثر الصمت
ولا تطلب اليك انت الكلام . حدثنى انت عما عندك
فى الشاطئ الآخر ، آه الشاطئ الآخر .. المسامح
بأضواء الحياة الفكرية ... ؟

— ٩٦ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

مضى شهران وانا انتظر خطابا منك لا يأتى .
وبدأت اعتقد انه لن يأتى ابدا . ومع ذلك ثق انى لم
اصب عليك اللعنات . او انى فعلت . ولكنى اقسمت
انى على استعداد لشراء خطاب منك بالنقود . نعم
انه لتمر بى لحظات أخرج من جيبى ورقة مالية اعلم
أنك فى أشد الحاجة اليها ، واضعها أمامى ثم ارسالة
منك ذات أربع صفحات ...

أما بعد ، فان مسألة (أكل عيشى) ما زالت
عقدة العقد وأمرها أصعب مما تتصور . ماذا تريدنى

أن أكون وكيل نيابة؟ تاجرا؟ مزارعا؟ ثق أنى فى
أى مهنة خلقها الله لن أكون سوى شىء واحد: أنا
بطبيعتى ونقصى ! ومعنى ذلك انى سوف أكون
وكيل نيابة أو تاجرا أو مزارعا على طريقتى ، وهنا
المصيبة والفضيحة : انك تعلم من غير شك ان لى
منطقا خاصا يشطبى أحيانا عما اعتاده الناس . فاذا
أنا فى واد والناس فى واد ، ينظرون إلى ويقولون :
إما انه أبله وإما انه فطن . لا أذكر فى حياتى ان
الناس حكمت على غير هذين الحكيم المتناقضين :
فريق ، ومنه والذى يقول إنى أبله ، وفريق ومنه
والذى يقول انى فطن . ولم أسمع طول عمرى حكما
وسطا بين هذا وذاك . على أن هذا كله لا يهمنى
ولا ينبغى أن يهمنى . مستقبلى حتى الآن شىء غامض .
بل لعله لم يكتب بعد فى « اللوح المحفوظ » ! اذكر
قولك لى مرة فى حديقة اللوكسمبورج : ان الله لم

يخلقى . انما هو الشيطان أراد أن يخلق طرازا جديدا
من الآدميين أو « موديل » من الانسان ، يضارب
به الطراز الشائع المعروف . فجاء خلقه عجيب البناء
غريب التركيب ، به أثر من عبقرية الشيطان ،
ولكن به نقصا ينم عن تخطيط في شئون الخلق
والإبداع . ومع ذلك ، حتى على فرض أن الله هو الذى
خلقى لا الشيطان . فانه كان لسوء حظى يضجر
ويتبرم كلما جاءه جبريل بلوحي المحفوظ ليعين فيه
خطوات حياته . فقد كان يصرخ فى وجه الملاك
الأمين قائلا : « اذهب عني الآن ! » فيقول جبريل
خاشعا : « لكن ... يا إله السموات والأرض ،
المدعو توفيق الحكيم ولد وشب ونما وكاد يدنو من
الثلاثين ، وهو لم يزل يدب على الأرض ويعيش فيها
بالمصادفة ... وكما جئت إليك بلوحي لأجل التعيين .. »
فيسمع كأن الصوت العلوى يصيح به : « قلت لك

اذهب عنى الآن ولا تشغلنى بهذا المخلوق ! ،
هكذا أعيش بغير مصير : حياتى فيما يَخيل إلى هى
فى يد المصادفة . والمصادفة غير قديرة على صنع حياة
محبوكة الأطراف . آه . . . ان حياتى مفككة ،
كالقصة المفككة ، أو الهيكل المززعج الأركان .
انا الذى لا يحب فى الفن غير قوة البناء ، وما يتبعه
من قوة التركيز . وهذا هو سر عنايتى بالحوار التمثيلى
فى الأدب . نعم ذلك ما أسميه عاطفة ال architecture .
هذا الاحساس الهندسى الذى من نتائجه : الحساب
ووضع الكلام بمقدار والاعتماد على الخطوط الكبرى
التي تحدث التأثير . انى مهندس architecte أدبى .
هذا كل شئ . من ذلك الطراز الذى يشيد معبدا
طاريا : أعمدة ضخمة متناسقة ولا شئ غير ذلك .
ما أشد حاجتى إلى حياة قائمة على أعمدة راسخة
كالعبد الضخم الجميل ! انى معبد يتصاعد من جوفه

— ١٠٠ —

لا بخور الايمان ، بل بخار الشك والقلق . انى أتألم
ألما لا يراه أحد : اذ لا يظهر على وجهى شىء غير
هدوء الرضا . هنالك دودة دائمة الوخز ، دائبة النخر
فى قلب هادى المظهر رائع النظر كالكمثرى الذهبية .
هنالك قلوب يسكنها الألم كأنه عبادة . حياتى كلها
ليست سوى قارب ثمل . لهذا يخيل إلى أنى صديق
« رامبو » الانسان قبل الشاعر ، ولهذا أيضا كنت
صديق « ايفان » الروسى الثائر ، أما انت يا أندريه ،
ن لك قلبا من غير شك ولكن ... ينقصك الألم .
إذا انصهر قلبك يوما انصهارا كافيا وانتشر حوله
الدخان ، فان هنالك بين ذلك الدخان تستطيع أن ترى
الشبح الحقيقى لصديقك الشرقى
انى الآن أنتظر الشتاء ، ولعله يأتى بمجديد .
ولعل الله فى هذه المرة يلتفت إلى وجودى غير ضجر
ولا متبرم فيعين طريقا لحياتى . ان الانتاج الفكرى

- ١٠١ -

يا اندريه ليرتبط إلى حد ما بطريقة عيش الكاتب ،
ويتلون احيانا بلون حياته اليومية . لذلك ترانى أنتظر .
على أنى فى هذه الفترة أتعزى عن نفسى بك وبنشاطك
وأوجه ببصرى إليك فى أمل ، واتبعك فى مطالعاتك
الليلية فى غبطة ورجاء . . . ٩

حاشية - بعد أن ختمت هذا الخطاب تأملت
قليلا فى أمر ذلك « اللوح المحفوظ » الذى تسطر
فيه مصائرنا . مما لا شك فيه ان لكل نفس خلقت
قصة يجب أن تعيشها على هذه الأرض . ومما لا شك
فيه أيضا ان كل قصة يجب أن تكون جديدة بعض
الجددة ، وان تختلف عن غيرها بعض الاختلاف .
تصور اذن كم من القصص قد ألفت ويجب أن يؤلف
لملايين ملايين الملايين من البشر يخيل إلى ان هنالك
فى السماء ملاكا فنانا منقطعا لتأليف قصص المواليد

— ١٠٢ —

قبل خرم وجههم إلى الحياة . هذا الملاك الروائي المخصص
لهذا العمل العسير يجب أن يكون واسع الخيال إلى
حد مخيف . والويل له إذا نضب خياله مرة . اخشى
مع ذلك أن يكون خياله قد نضب وهو يمسك بالقلم
ليسطر قصة حياتي ! ...

— ١٠٣ —

الاسكندرية في . . .

عمري اندريه

اني آخذ عليك تقصيرك في الكتابة إلى .
وأوجه نظرك مرة أخرى إلى أن رسالة تكتبها
إلى لا تشغلك كثيرا ما دمت تجد وقتا يتسع لمغازلة
الحسان . ولو ان بيني وبين نفسي أعلم ان هذه
المغازلات قديمة التاريخ . ولا أحسبك قد نسيت قهوة
الدوم والأمر بكية ذات العيون التي تشبه في زرقها
ماء بحيرات الجنة ! على اني أغتفر لك عن طيب خاطر
كل اهمال إذا كنت مشغول الوقت حقيقة - بعد عمل
نصنع المرق - بالقراءة والمعرفة بما فيها الموسيقى .
وألوان الفنون جميعا . ذلك الداء الذي تقول اني رميتك

به . لم يخب ظنى . انك قد سمعت فى هذين الشهرين
من الموسيقى خير ما يمكن سماعه . فانى أعلم ، وقد
مكثت فى باريس شهرى مايو ويونيو من بعض
الأعوام ، ان ذروة الموسم الموسيقى هى فى هذين
الشهرين . فان خير الفرق تتلاقى فى باريس فى ذلك
الوقت قبل تفرقها فى المصايف . لقد سمعت انا أيضا
سانفونية « ماهر » التى تحدثنى عنها و « نشيد
الأرض » وهو إحدى روائع صحائفها . كما سمعت
قطعة « الأفراح » العجيبة لسترافنسكى ، وكذلك
قصيدته السانفونية « تقديس الربيع » وفيها هى
أيضا « نشيد للأرض » ولكنها الأرض الوثنية
لا أرض « ماهر » التى تتصاعد منها الروح الدينية
العميقة . غير انك أحسن حظا منى بسماعك
Lotte Schoene للمغنية العظيمة . وفرق « الكورس »
الشهيرة التى وفدت إلى باريس هذا العام . فانا

- ١٠٥ -

لا أمل لى هنا فى سماع هذا الضرب من الموسيقى ،
أعنى الصوت الآدمى المنفرد أو المجتمع . فأنا
أستطيع على كل حال أن أجد فى الموسم الموسيقى
لكازينو سان ستفاتو تحت قيادة ايطالى متواضع
يدعى « بونومى » كل برامج الموسيقى الآلية
تقريبا ، حتى « اندانت » لماهر سمعته يبرنامج
الأمس . لكن من المحال أن أمل فى سماع
messe أو requiem أو على الأقل السانفونية التاسعة
ليتهوفن . فمشاهير المكنين والعازين لا يأتون هنا
بالسيولة التى يذهبون بها إلى باريس . لذلك ارسلت
إلى المانيا فى طلب اسطوانة لهذا النوع الذى
لن اطمع فى سماعه هنا . وقد كلفنى ذلك نقودا
واى نقودا وبعد فاشكر لك حديثك المسهب
عن الموسيقى . فأنت ولا شك تعلم ان الحديث عنها
هو خير ما تطرب له اذنأى . . . ما

— ١٠٦ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

نعم . انك ارتفعت حتى قمة الجبل . وقتبتك
الرحلة الصاعدة الجريئة . وكان من حسن حظى أن
أرافقك . وكان من سوء حظى أن ألقى نظرى قبلك
إلى مهبط السفح وأن ألفت نظرك الطامع الجنونى
إلى هول ما بعدنا عن سطح الأرض . وها انت ذا
تعترف أنك بعد تلاوة رسائلى اضطرتت إلى النظر
فيما أقول فوجدت نفسك محلقا حقيقة على ارتفاع
منيف . وأحسست لحظة الدوار . إلى هنا أوافقك
وأوافقك أيضا على قولك ان أخشى ما تخشاه على

رأسك من هذا الدوار هو عندما تهبط إلى مستوى زملائك في المصنع . نعم ، انى أتوقع لك دوارا قاسيا ساعة النزول يتناسب مع ذلك الارتفاع . أما قولك آسفا انك بدأت تشعر بالوحدة الروحية تنسج أبرادها حولك ، فهو مالا أوافقك عليه . أو لست متصلا بك دائما ؟ بماذا تفسر كتابتى المستمرة إليك ؟ تقول انه كان ينبى - فى لوح قدرك - أن يأتى فتى من الشرق ليسبغ بخیاله رداء الأُحلام على عالم الواقع الذى كنت تعيش فيه .. انا أيضا كان ينبى لى أن أرى جمال الواقع الناصع فى جوار عقلك الأوروبى المستقيم . ان هزة التصادم بين الشرق والغرب . هى وحدها التى تفتح الأعین المغلقة فى الشرق والغرب ان فى تلاقينا لمعنى أوسع من كل معنى شخصى أو فردى . ان فيه قوة الرمز . ما من مرة احتك فيها الشرق بالغرب الا وخرج من احتكاكهما ضوء أنار

العالم . وما من مرة تلاقى فيها وجه الشرق بوجه الغرب
ونظر أحدهما في عين الآخر الا وأبصر جمال نفسه
كأنه ينظر في مرآة . أليس من العجب يا اندريه
انك لم تعجب بكل ما عندكم من آثار الفن والموسيقى
إلا بعد أن توطدت بيننا الصلة ؟ لن أنسى سخريتك
بي وبخيالي وميولي في أول عهد تلاقينا . لقد جعلت
تهدم كل الأسس التي بنيت عليها حياتي . لقد جعلت
تجرد صديقتك الشرقى من كل صفة طيبة حتى صفة
الفنان التي كان المسكين يعتز بها وقتذاك على نحو
مضحك ، لا بسا لها لبوسها من معطف اسود وقبعة
مريضة سوداء لم تترك له أملا واحدا يعيش به .
وبعد أن هدمته بلا رحمة قلت له ذات مرة : «والآن
أذهب والى بنفسك فى نهر السين إذ لا قيمة لمثلك
ولا فائدة ترجى منه فى الحياة » ألا تذكر ؟ ومع
ذلك شىء عجيب : لم يؤثر فى نفسى كثيرا هذا

الكلام وابتسمت له ورددت عليه ردا لطيفا
أقرك به بعض الشيء . ألا تذكر ؟ ذلك أنى فى ذلك
الوقت كنت أدرك انك لم تفهم بعد روح الشرق .
ثم شئ ، آخر : هو انى فى ذلك الوقت كنت أقابل
المأسوف عليه « ايفان » ذلك الروسى الذى كان يدعم
ايمانى بنفسى وبالشرق كلما نالت منى بعض كلماتك .
ولكنى عدت بعد ذلك إلى الشرق . عدت إلى
مصر يا اندريه فأصابنى بادية الأمر ذهول . ذهول
عنك وعن كل شئ . كمن وقع من السحاب حقيقة .
ثم أخذت أتصفح الوجوه والأشياء حولى . يالهامن
حقيقة مؤلمة ! رأيت نفسى فى شبه عالم نائم . لقد
شعرت بما قد يشمر به من يهبط سطح القمر الأجرد
المعتم . انت أيضا نقلت إلى داءك يا اندريه . فجعلتنى
أبصر الواقع المؤلم بعين الواقع
لقد عشت بضعة شهور بغير نفس ولا ادراك ،

أحاول فهم السفهاء والجهلاء ، وأتمنى لو أستطيع أن
أسر بعشرتهم ، وأن أصنى إلى أحاديثهم . لقد قطعت
عهدا على نفسي عند ذاك أن لا أتحدث في غير التافه
من الأمور . إلى أن وصلت منك خطاب ذات يوم
تؤنّبني فيه على هذا الخول وهذا الجمود فكان أثره في
نفسى عميقا . لقد أعاد إلى الذكاء والادراك . وإذا
عقلي الذى كاد يخبو بأفيون الشرق يضىء من جديد .
وصحوت لحظة أفكر وأتأمل . وانتهى بي الأمر
إلى أن النور يأتيني من الشاطئ الآخر . وان
الأمّل معلق على شخص مثلك بهزلى المصباح من
الجهة الأخرى ... ؟

- ١١١ -

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

انى فى حاجة إلى حديثك . تكلم فى أى شىء
أو فى لا شىء . اسمعنى صوتك واشبعنى ثرثرة واملاً
لى صفحات ... يكفى أن تلقى على الورق خطوطاً
فتكون لها قيمة ... قيمة نقدية ، على الأقل عندي .
ولو انى أعلم انك اليوم لست محتاجاً الى نقودى ،
فقد صلح حالك وصرت ممن يسرون فى الحياة بنظام
واطمئنان . نعم ان ل مجرد الثرثرة قيمة نقدية أحياناً .
فانى أذكر يوم قرأت *de profundis* لأوسكار وايلد
أن صحت : هذ كاتب له قلم يبول ذهباً ، اجل حسب

مثله ان يقول للقلم اكتب ، دون قياد من العقل
والتفكير ، كما يرخى الفارس للجواد العنان . ان من
الكتاب يا اندريه من تجذ فيه هذه المزية العجيبة او
الموهبة الفريدة : انه معنى من انتقاء موضوع او تخير
قضية ، لأن عنده القدرة ان يجعل من مجرد كلامه
المرسل رسالا اشياء طالية القيمة . ذلك ان روحه
وحدها هي كل الفن والأدب ، وان سر قوته في
تلك السجية الغنية والفطرة الخصبية . مثل هؤلاء
لا ينبغي ان نقول لهم اكتبوا فيما هو منتج او مفيد
انما ينبغي ان ننتظر فقط كل ما يخرج من مداد
أقلامهم ، كما ننتظر العسل من النحل دون ان نخبره
ان في عمله شفاء للناس . ما زلت تغمز احيانا غمزات
خفيفة لما أحمله لك من تقدير ، فتقول لي في كل لحظة:
« ما بالك تحشرني في الأدب وتفسد حياة رجل
المصنع » كلا يا اندريه . ان الأدب لا ينافي حياة

— ١١٣ —

المصنع . لأن الأدب هو الحياة . أو التعبير عن الحياة . انه الحياة كلها التي تحوى في جوفها المصنع وغير المصنع . ولقد كان « ايفان » رحمه الله تاملا وفيلسوبا . انت أيضا صاحب ذوق وفهم . اياك أن تشك في ذلك . مرة أخرى أقول لك : « استمع إلى قلبك . فالقلب هو أدق آلة في جسدنا تسجل الصدق ! » .

وبعد . هل قرأت كتاب « جوزيف ديلقى »
عن « نابليون » ما رأيك فيه ؟

لقد جاء في البرقيات العامة خبر وقع على رأسى
كالصاعقة : هو موت « بول سوديه » كبير نقاد
عصرنا الحاضر فى فرنسا . يا للأسف ! لقد كنا
ننتظر مقالاته فى « الطان » كما ينتظر الحكم النهائى
لفاصل فيما يختلف فيه النقد والنقاد !

أخيم عنه الرسالة سريعا لأن موعد البريد قد

زهرة العمر - (م ٨)

— ١١٤ —

أزف . وسأحدثك في رسالتي التالية عن « كونسرتو »
سمعتة في « الكازينو » ، هو مضحك للغاية ، إذ كان
فيه عازف « فريوز » . سأجته في أن أصف لك
ما وقع ... ما

الاسكندرية في . . .

عززي اندريه

وأخيرا أعلنوا في البرامج وعلى الحيطان عن
عازف « فرتيوز » يوقع أحد كونسيرتات « باجانيني »
فذهبت كالمعتاد . بل بنفس أكثر انتعاشا وأشد
فرحاً . فلقد ظفروا آخر الأمر بكونسرتو وبفرتيوز .
ووقف المايسترو « بونومي » ونفش شعره بيده قبل
أن يوميء إلى فرقته بعصاه . ثم التفت إلى يمين ثم
إلى يسار منتظرا قدوم العازف العظيم . وذكرتني
هذه الحركة بمشياتها حين كان رئيس الأوركستر
ينتظر دخول عازف شهير مثل تيبو أو هوبرمان أو

عازفة مجيدة مثل إيريك موريني . لقد دخل على نفسى
الوم والابتهاج بهذا التباطؤ المقصود وحسبت ان
العازف الداخلى قد أبطأت به سيارة « الرولز » لحدوث
خلل فى الطريق . ولكن التفاتة منى إلى باب
« التواليت » هدمت كل هذا الخيال . فقد أبصرت
رجلا يتعشر فى رديجوت - من المؤكد انها ليست
له - وعلى صدره رباط رقبة « فاقع » اللون لا يتفق مع
سواد الرداء وعلى عينيه منظار غليظ لا يضعه غير
سماسرة القضايا ووكلاء المحامين ، وهو واقف يمشط
شعره على عجل بمشط (من الخشب الخشن نفش) .
فلما رضى عن « قيافته » التى تكبد فيها ما تكبد
ظهر مسرعا إلى المنصة وانحنى للجمهور كما ينحنى
مشاهير العازفين . ثم التفت إلى « يونوى » ونظر
إليه من خلف منظاره السميك نظرة من يقول له :
« الأمر سائر على ما برام ؟ » فرد عليه الرئيس

بإتسامة . لكن في شيء من التعالي . وحول نظره
بالمصا المرفوعة الى الجوفة . فارتبت في هذه النظرات
واستدرت نحو المنصة فاذا بي أرى مكان «السوليست»
خاليا . فادركت الحقيقة . هذا العازف الذى اعلنوا
عنه ليس سوى العازف الأول للفرقة هياؤه وموهوه
وأدخلوه علينا كأنه عازف « فرتيوز » . على اى مع
كل هذا أقول لا بأس . ان « بونوى » رئيس
أوركستر ضرورة . ولكنه على كل حال رئيس
أوركستر . حقيقة انه تؤدي عمله كما يستطيع وتستطيع
له مواهبه الخالية من الشعر والرقه والدقة . فهو لو
أدى قطعة مثل قطعة « السحب » لنكلود ديبوسى
لأسقط على رؤوسنا أحجارا من السماء . انه لا يدرك
معنى لذلك الذى تسمونه معشر الفرنسيين nuance .
وكثير من يتهوفن العميق مغلق عليه ولعل المارش
وال allegro forte هو كل ما يمكن مثله ان يؤديه .

وحتى هذه مادامت فيها عواطف - على الأقل عند
يتهوفن - فهو يسقط منها العاطفة على الرغم منه
فلا نسمع منها غير الدوى المادى ولا نلمس الا الهيكل
الخارجى . أين هذا ممن أسمعونا « الغبار الموسيقى »
la poussière musicale . على حد تعبير « هونجر » .
واين هذا ممن قسروا موزار وفاجنر تفسيرات تعتبر
في ذاتها خلقاً جديداً . لقد عرفت طريقة « برونو
فالتر » مجدد موزارت . وكان بودى لو اعرف طريقة
« فان هرسلن » مجدد فاجنر ، وهو من يقولون عنه
انه حول ال Grondements souterrains التى تملأ
اعمال فاجنر الى موسيقى صافية نقية كأنها موسيقى
موزار . وسواء كان فاجنر حقاً بهذا الصفاء النفسى
الذى كان عليه الطفل الألى ، وهو ما اشك فيه .
وسواء كان يريد فاجنر ذلك ويوافق عليه لو كان حياً
أو لا يريد . فان المحاولة في ذاتها تستحق المشاهدة .

لنقول بعدئذ هل نفضل فاجنر الحقيقي أو فاجنر المدخول عليه . انها على كل حال « بدعة العصر » فيما أرى . ذلك الذى يسمونه « تجديد الشباب » للآثار القديمة . أهو تأثير العلم الحديث وحلمه الدائم بأعادة الشباب الى الغدد المنهوكه والجسم الهرم ؟ ان آثارالذهن قد بدأت تتأثر هذه النظريات . وان كلمة « تجديد الشباب » للمؤلفات القديمة تجدها على لسان الكثيرين اليوم . تذكر عمل الشاعر الفرنسى « كوكتو » فى تجديد أعمال شاعر الأغر يق « سوفوكليس » أى خطر على تراث الأقدمين لو تمكنت من الناس مثل هذه الأفكار . إلا أن يكون فى ذلك العمل حياة للقديم من خلال الأطار الجديد . فهو اذن عملية انقاذ وبعث وتجميل . وعلى ذكر العلم الحديث واثره فى مسائل الفن والفكر . اخبرك بأمر كتاب عجيب هو كتاب ulysses لجيمس جويس . لقد كان لهذا

الكتاب صيت رذدت صدام جذرات صالونات
الأدب بباريس ، حتى قبل ان يترجم الى الفرنسية .
وقد عد من قراءه من أدباء الفرنسيين (ونادر من
قراءه إذ ذاك) أدبيا ذواقه لا تخفى عليه خافية ، شأن
كل عمل يتعهد بترويجه واذاعته من بسمونهم
les snobs . وهم لا يذيعون الا كل عمل معجز .
والمعجز في هذا الكتاب انه يبلغ نحو ٩٠٠ صفحة من
الورق الكبير والحروف الصغيرة وكله إملايل وإضجار
فهم واثقون من ان الكثرة الغالبة سوف تعجز عن
مطالعة هذا الكتاب . غير ان هذا ليس معناه خلو
الكتاب من القيمة الأدبية . ان التطويل الى حد
الأضجار والأملال قد سبق ان قاسيناه في كتب
مثل « الحرب والسلام » لتولستوى ، وخرجنا مع
ذلك فائزين . على ان فكرة جيمس جويس في هذه
القصة الطويلة التي تركز على « المنولوج الداخلي »

هي ان يترك بطله يتكلم بشكل ما يرد على خاطره
ويخرج كل ما يخالج نفسه . كل فكرة فاضلة او سافلة
خيرة او شريرة تافهة او قيمة لا بد أن تسجل . فهو
يريد ان يقول لنا ان (البسيكولوجية) الصحيحة هي
ان لا تتخير اشياء وننبذ اشياء مما يدور في نفوس
الاشخاص . انما يجب ان نثبت كل ما في نفوسهم
حتى مجرد الخواطر الفجائية الطارئة . وهو عمل لا
يستقيم معه بالضرورة بناء القصة ولا يسمح به مجال
الصفحات المعقول . لذلك ضرب المؤلف الانجليزي
بالبناء الروائي عرض الحائط ثم لم يبال ان يبلغ بعدد
صفحاته ما شاء وشاءت له الحماقات التي تمر بخاطر
بطله في ساعة من الساعات . وهي ليست حماقة
واحدة وليست حماقتين . ولكنه عدد لا ينتهي ولا
يمكن ان ينتهي . وما تنتهي السخافات التي تمر في
لحظة برأس انسان ؟ قد كنت اظن أن مثل هذا

الكتاب يظهر ثم يمر في سلام . ولكن المروع
في الأمر هو ان يصبح فيما أرى (بدعة للعصر)
فها هو ذا كتاب لأليس هكسلي Point counter point
ترى فيه احد الأشخاص يبدو متبرما بمعشوقته وقد
خبت جذوة حبه ويريد لتلك الصلة بينها حسن
الختام . هذا حسن . ولكنه يحادث نفسه فاذا هذه
النفس لا تحدثه في الحب وحده ولا في تبيكيت
الضمير ولا في التريث والشفقة بل ولا حتى في الشعر
والفن بل تحدثه في الفلسفة وفي الاقتصاد وفي
الاشتراكية ثم بعد ذلك ترتل اشعارا لشكسبير .
واذا استمرت هذه النفس في حديثها على هذا النحو
فان المؤلف لن يستطيع قطع هذا الحديث قبل ملء
جزءين أو ثلاثة اجزاء . انى لست ساخطا على هذا
النوع من التأليف كل السخط . فاني مدرك لقيمة
مثل هؤلاء الروائيين، مستطيع ان اقرنهم بالروس من

بعض الوجوه . فان دقة التحليل والنزول الى أعماق النفس والأفاضة في تلوين الأشخاص والاحاطة بكل ما ينبض في قلوبهم من خواالج تكونت أو ما زالت في دور التكوين . كل ذلك مشترك بين هؤلاء الانجليز وبين الروس العظام مع هذا الفارق : ان ما عند الروس من نزعة صوفية *mystique* يقابله ما عند الانجليز من نزعة انتقادية *satirique* . غير اني لا اظن مطلقا ان نظرة الروس للبسكولوجية الروائية بلغت هذا الحد الذي بلغه الانجليز اليوم . انما هي بدعة تولدت بتأثير علم النفس الحديث . انك قد تجد عند الروس شيئا من هذا « المنولوج الداخلي » ولكنهم لم يضعوا فيه الا كلاما مختارا متسقا مع بناء القصة وجوهر الفكرة . أما أن يلقي فيه كل شاردة وواردة كأنه طبق خضروات متنوعة فهو ما لم يصنعه . ان « السلطة » الروسية *la salade russe*

— ١٢٤ —

من ابتداع الروس حقاً ولكنهم لم يدخلوها على مائدة
الفن الروائي الروسى ١

ارجو منك يا اندريه ان ترتاب قليلا فى أحكامى
الأدبية والفنية . فانا كما تعلم احب بطبعى البناء
السليم فى كل خلق . ولا شئ يرضى غريزتى الفنية
مثل الصحة فى البناء ، سواء كان هذا البناء لهيكل
آدمى أو فنى . وقوة البناء لا تتمثل فنياً ابرز تمثيل
الا فى فن العمارة وفى السانفونية الموسيقية وفى القصة
التمثيلية . ولعلك تستطيع تحليل اى شئ للقصة
التمثيلية فهى كما ترى الزم واقرب الى دقة البناء من
القصة المروية . وقد تستطيع أخيراً أن تعلم حبي
لصحة البناء بأنى معتل ببناء الجسد . فنحن لا نحب
أحياناً إلا ما ليس فى يدنا .

نعم ان الفن عندى بتيان جميل . لذلك لا تنتظر
منى انت أحب هذه الطريقة الحديثة فى التكنولوجيا

الداخلي . قد أحبها على شريطة : ان نخرج قصة كهذه من دائرة الفن لندخلها في دائرة العلم . وان نطلق على مثل هذه القصة اسم « سجل أو ملف نفسية فلان » ان الفن هو كما قال « هكسلي » نفسه في ذات الرواية : لبس هو الحقيقة وليس هو الواقع بل شيء آخر : انه الحقيقة مقطرة ومصفاة كيميائيا . هذا صحيح . واذا كان الماء يصفى ويتقطر للناس في معمل كيميائي ، فان الحقيقة أنصافى وتقطر للناس في معمل المؤلف الروائي .. وهذا المعمل هو : الفن . نعم . ان الفن ليس الطبيعة ولا الحقيقة ، انما هو تقطير الطبيعة والحقيقة من خلال « أمبيق » الفنان . اذا كان الأمر كذلك فلماذا تتجه الرواية الحديثة الى ابراد الحقيقة بواسطة سجل يرصد فيه ما حدث في الدقيقة والثانية داخل نفس فلان كما تسجل الأرصاد الجوية ؟ انى علي كل حال لست نادما على قراءتى هذه

القصة...

فلقد جعلتني استكشف في نفسي القدرة على
المطالعة في الإنجليزية مباشرة . نعم أن تركي هذا اللغة
أعواما طويلا لم يؤثر الا في قدرتي على المحادثة بها .
لماذا اذن انتظر ترجمة مؤلفات برناردشو الى
الفرنسية وانا مستطيع فهمه في لغته الأصلية . انه
الكسل ولا شيء غير ذلك . اني كسلان بالطبع .
ولكني الآن أقرأ بالفعل برناردشو في الإنجليزية
واتذوق سخريته ولذعه وفكاهته واستعذب أسلوبه
السهل السلس ذا الروح والراححة ...

على ذكر الأدب الانجليزي أحب أن أقول
لك أمرا لفت نظري منذ غرقت في دراسة هذا
الأدب . انه أدب منامرات . ولا يجب أن يطلق
عليه غير هذا الوصف : منامرات بأوسع معانيها
وأجملها وأشرفها فأعمال والتر رالي وسكوت ودانيال

دفو (روبنسُون كروسو) وروبرت لويس ستيفنسون
(جزيرة الكنز) هي مغامرات بحرية . وأعمال ديكنز
وجالسورثي هي مغامرات اجتماعية . وأعمال شكسبير
ويرون مغامرات نفسية انسانية . وأعمال ما كولي
وكلاريل مغامرات تاريخية . وأعمال ويلز (في قصصه
العلمي) وبرناردشو خصوصا في *Back to Methuselah*
ليست سوى مغامرات ذهنية . ان الأدب الانجليزي
مهما تشرحه تجد روحه وجوهره في كلمة « المغامرة »
لعل هذه الجزيرة المنعزلة قد طبعت نفوس أهلها
بهذا الطابع الغريب : حب السفر عبر البحار بحثا
عن المجهول : بحار الأرض أو بحار المجتمع أو بحار
الماضي أو بحار النفس أو بحار العقل ...

هذا لا تجده في الأدب الفرنسي مثلا . انه أدب
« الشكل » *la forme* في جماله الساحر . أدب الحوادث
اللبقة النبيلة ، أدب التفكير الرائق الهادي ، أدب

— ١٢٨ —

التعبير الرائع والمنطق البارع . هو أدب الوطن
الفرنسي والصالون الفرنسي والصيحة الفرنسية القائلة
ان « باريس » هي عاصمة الكون ولا شيء وراء
باريس . باختصار هو أدب الاستقرار لا أدب
الضرب في البحار ...

وبعد . تقول لي انك سرت في جنازة المأسوف
عليه « يول سوديه » وانك مررت مع الجمع حول
التابوت وتناولت ققما فضيا حرصكته في الهواء
بعلامة الصليب ونضحت به الجثمان ، ثم سلمته لمن
خلفك في الصف . ثم تقول انك سككت تضحك
فتسخط عليك الناس لأنك تذكرني فجأة وأنا في
مثل هذا الموقف يوم تشييع جنازة زوج بنت مدام
شارل وما وقع لي بالتمام من أشياء تثير الانتسام .
اه لا تذكرني يا أندريه . لقد كان حقاً يوماً محرجاً
لكنه انتهى بسلام . . .

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

اليوم الخميس ، ولم تصلنا رسالة الخميس . وقد
عودتنا ذلك ووعدتنا به . هلا رأيت بول سوديه
ومواظبته على ارسال مقالات الأرباء لجريدة
« الوقت » عشرات الأعوام بانتظام ، لم ينقطع في
خلالها إلا لوتين : موت زوجته وموته هو ! وهل
تظن أنك أقل من بول سوديه في « وقتي » أنا ؟
على أنى أسأل لك عمرا أطول من عمره ، وأعطيك
أجرا أكثر من الأجر الذى كانت تعطيه اياه
جريدة « الطان » لو كنت تقدر قيمة الودا تستطيع

زمرة العمر

أن تقول انى أعيش طول الاسبوع على رسالتك
فاذا كنت تريد أن تحرمنى غذائى الأسبوعى فأنت
وشأنك . وبعد فلنتحدث فى أى شىء . قرأت مقال
« فرنان فندريم » فى بول سودييه . وهو خصمه
المعروف فى المناضلات الأدبية . أى جين واى ندالة
مقال لو انه كتبته ومجراً على نشره فى حياة الناقد
العظيم لما استطاع الإقامة بعدها فى فرنسا يوماً واحداً
ولكنه الآن يقول ما يريد لأن البيت لا يستطيع
جواباً . لقد جرد سودييه من كل حسنة وألصق به
من النقص ما يخرج عن وظيفة ناقد . ولكن أعجب
ما جاء فى مقاله عن بول سودييه قوله ان الجانب الفنى
la technique فى الأعمال الأدبية كان يفتل منه
دائماً لأنه لم يمارس بنفسه التأليف من حيث هو
خلق فنى ؟ ! فما قول فاندريم هذا فى فلاسفة الألمان
ممن نقدوا الفن من « عمانويل كانت » إلى « فردريك

نيتشه « وما قوله في les esthéticiens الذين شرحوا
لنا ونقدوا فن فيدياس وبوليكليت وبراكسيثيل وهم
لم يصنعوا قط تمثالا من الطين أو العجين ؟ وما قوله
في (جول لستر) و (سارسي) و (تين) وقد قضوا
حياتهم ينتقدون فنونا لم يمارسوها قط بأنفسهم . حتى
العرب ونقاد الشعر العربي في آدابنا (مثل « الأصبعي »
و « حماد عجرد ») لم يمارسوا بهذا الفن مع روايتهم
لكل ما قيل فيه . وإني لأذكر قول أحد نقاد
العرب هؤلاء وقد سأله (كما سأل فاندريم بول
سوديه) لماذا لا يقرض الشعر ؟ فأجاب : أنا كالسن
يشحد ولا يقطع . ولكن فاندريم يريد أن يقطع
أوصال جثة خصمه وكفى !

اني لم أزل أطلع رسالتك الماضية في اعجاب .
ان فيها أشياء أقرؤها ببطء فتؤثر في نفسي تأثيرا
شديدا . ذلك انها تجعلني أتصور أني مازلت أقيم في

حجرتي بشارع بلبور . واأسفاه ! بخيل إلى أنى .
نسيت رقم الحجره في الطابق الخامس . أظنها كانت
رقم (٤٨) . لأنها (هى) كانت تقطن الحجره رقم
(٣٨) ... انى إن نسيت رقم حجرتي فلن أنسى مطلقا
رقم حجرتها . أما البيغاء ... آه يا اندريه . نرى أين
هو الآن ؟ أو لم يزل يحمل اسمى كما كان ؟ .. فيظل
بذلك اسمى يردد صدهاء فى بارلس ... على الأقل حتى
يموت البيغاء ! انى أعرف أن هذا الطائر طويل العمر !
نحن معشر المصريين نفكر دائما فى تخليد أسمائنا .
ولقد اتخذ جدى الأهرام لهذا الغرض . ولكنى أنا
اكتفيت باتخاذ بيغاء ... على قدر مالى واستطاعتى
ألا ترى أنى مبصرى بالدم والوراثه ؟ أندريه ... اكتب
إلى كثيرا ... ذكرنى بحجرتى فى شارع بلبور
رى من يقطنها الآن ؟ أحد العمال ولا شك أو احدى
العاملات . فهذا حى عمال وعاملات . ومن يدرى

— ١٣٣ —

فقد يكون من سكانها اليوم مهران عاشقان .. أو
زوجان سعيدان ... أما أنا مع الأسف فلم أعرف
في هذه الحجرة غير حياة شبه زوجية فآرة مع ساشا
شوارتز . وحياة حب مع « إيمان دوران » لم يدم
هناؤه طويلا . . . ما

— ١٣٤ —

الاسكندرية لى . . .

عزبى اندريه

تسألنى من هى ساشا شوارتز ؟ عجباً ؟
ألا تذكرها ؟ أرم اقص عليك قصتها من قبل ؟ ..
أهان أمرها على بهذا القدر ؟ أم انى لا أحب أن
أذكر دأما غير القصص الذى لم يتم ولا يمكن أن
يتم .. ؟ ! حدث ذلك يا سيدى فى مساء يوم جميل
جلست فيه مع مسيو هاب إلى مائدة مشرب صغير
bistro فى مونمارتر . وكنا نتحدث فى أمر حوار
صغير كنت قد كتبتة ودفعت به إليه ليرى رأيه فيه .
فراه خفيف الروح قوى التركيب سلساً سائفاً

يستلب لب القارىء استلاباً ... وقال لى : « انى أراك
قد اعتصرت مولير وبومارشيه وماريفو اعتصاراً »
ففرحت بقوله هذا كثيراً وطلبت كأساً أخرى من
(الپرنو) ... وما كدت أتناول منها جرعة حتى دخلت
المشرب عادة ذات جسم ذكرنى بتمثال افروديت .
وكان فى صحبتها شاب برزى اللون جميل الطلعة كأنه
أبولون ... ولست أدري أسكرت من الپرنو أم من
أطراء صاحبي أم من روعة هذه الغادة ... كل
ما أذكر أنى تمايلت على مسيو هاب صائحاً : « ناد
الجرسون واطاب سكيننا » فقال دهشا : « سكيننا ؟
تصنع به ماذا ؟ فقلت : « أقتل نفسى عند أقدام هذه
المرأة حبا وجنوناً وغراماً ... » فالتفت (هاب)
إلى المرأة ثم إلى صاحبها وقال لى : « صدقت . ولكنها
كما ترى ذات رفيق وأى رفيق .. لا أمل لك أيها
الصديق ... إذا أصررت على السكين فانى أنادى لك

الجرسون ا. « ولبثنا ساعة ننظر إليها وتتحسر ...
ثم ههنا وانصرفنا كل إلى شأنه . ومضت أيام قلائل
وإذا مسيو (هاب) فى أثرى يبحث عنى فى مظالى .
حتى عثر بي فبادرنى صاتحا : أين أنت ؟ أين أنت ؟
أيها الرجل السعيد ... افرح بسرعة فان عندى لك
خبرا سارا ... انها لك منذ اليوم خالصة مخلصه ا .
فلم أفهم مراده بادية الأمر وقلت له : عمن تتكلم ؟
فقال : عنها هى .. عن تلك المرأة . فقلت : أى
امرأة ؟ فضاق صدره بي : عجباً لك ... أى
أمرأة ؟ المرأة التى رأيتها فى المشرب منذ أيام ...
فتذكرت كل شىء وصحت : حقاً .. حقاً ... أخبرنى
ماخبرها ا فقال : « باللعظ عندما يواتى الانسان ا
لقد كنت بهذا المشرب البارحة واذا بي ألمح امرأة
جالسة إلى مائدة يجوارى أمامها (بوك) من البيرة لم
تمسه شفتاها . وقد أخفت وجهها فى منديلها

وظفقت تبكى بكاء راءاً . . . فمعببت لأمرها ولبثت
أرقبها حتى تبينت آخر الأمر أنها صاحبتنا (افروديت)
فتحينت منها فرصة وحادثتها . ولم أزل بها حتى
اطمأنت إلى وكشفت لى عن بلائها : صاحبها البرترى
اللون وهو أسباني يدعى (جارسيا) قد هرب إلى
بلادهم وهجرها بلا مأوى ولا نقود ولا معين . وهى
أجنبية هى الأخرى - ألمانية أو روسية لست أدرى
على التحقيق .. اسمها (ساشا شوارتز) . وهى تجيد
الفرنسية . وقد كانت تعمل (سكرتيرة) فى إحدى
وكالات السفر ، فالتقت بهذا الشاب الاسباني فاستلب
لها وأخرجها من عملها . وختم قصته معها على هذا
النحو . وليس من اليسير أن تجد سريعا عملا يقيها
شر الجوع . فهى لا ترى فى رأسها غير أفق حالك
تبدو منه فكرة الانتحار كأنها شمس سوداء ..
فبادرتها صائحا مرتاعا : تموتين ؟ انت ؟ مهلا

يا سيدتي مهلا ؟ تموتين وعندي شخص يموت فيك
حبا وهياما وغراما ! . فنظرت إلى بعينين كلهما
دهش واستفهام . فأخبرتها بخبرك وضربت لها موعدا
مساء اليوم بذلك المشرب لأقدمك إليها . كل أمل
هذه المرأة الآن هو أن تجد لها مأوى ومعينا .
ولاشك عندي في أنك مستطيع أن تحقق لها هذا
الأمل ... « تصور ذهولي يا اندريه وأنا أسمع من
مسيو « هاب » كل هذا ... لقد حسبته يمزح .
ولكن الموعد حانت ساعته . فلم أر فائدة في اللجاج .
فجلست معه أنتظر . وإذا بالفعل ... أبصر لدهشتي
« امروديت » تدخل علينا في حال كسيره . وقد
أفسدت الدموع أهدابها وأنساها الحزن الالتفات إلى
هندامها . فهض « هاب » لاستقبالها . ونهضت أنا
أيضا كالخجل المأخوذ . وحياتها صاحي ألطف تحية
وقال لها باسمها وهو يقدمني إليها : « كنت تريدني

الاتتجار يا آنسى . فها هو ذا شىء أهون قليلا
من الاتتجار .. « فنظرت إلى الفتاة بابتسامة وديعة
فيها أثر الحزن وفيها أيضا الاستسلام . وكأن كل
شىء فيها ينطق : « ليس الآن أوان الفحص والفرز
والاختيار » وتركنا « هاب » وقد رأى أن مهمته قد
انتهت . فلبثنا وحدنا لحظة صامتتين . لا أدري ماذا
أقول ... إلى أن سألتها آخر الأمر عن أمتعتها
فقالت لى انها مودعة عند صديقة لها متزوجة .
أضافها الليالى السابقة . . ولم يعد من اللائق أن
تعرض ضيافتها على أسرة أكثر من ذلك . وكانت
تلك الأسرة تقطن ضواحي باريس والوقت ليلا .
فراينا أن نرجىء طلب الأمتعة إلى الصباح وذهبت
بالعادة الحزينة إلى أحد المطاعم فتعشينا . وأنا أحاول
اضحاكها والتسرية عنها . ثم قدتها إلى مسرح تعرض
فيه رواية « فود فيل » مفرحة . فانتعشت قليلا .

وضحكت مع الضاحكين . وخرجنا وقد انتست إلى
بعض الشيء . . بدأت تتوطد بيننا الألفة . وذهبت
بها إلى حجرتي بشارع بلبور . فسرت كثيرا بالمطبخ
الصغير الملحق بالحجرة : وما فيه من أدوات لشي
اللحم وجهاز لموقد يشعل بالغاز . وسألتني أن أعيرها
تلك الليلة « بيجاما » مما أرتديها للنوم . ففعلت .
وتشاغلت بالنظر في كتي المكتبة فوق المكتب .
ولك أن تصدق أبها الخبيث اندريه أو لا تصدق .
فو الله لم أحاول اختلاس النظر إليها وهي تخلع يابها
ولا أذكر أين فعلت ذلك . هل خلف خزنة الثياب
أو في المطبخ . كل ما أذكر أنها طلعت على فجأة
وهي مرتديه « البيجاما » ويكاد نهذاها البارزان
يفتقان الرداء . فوق الكتاب من يدي . قابست .
ابتسمت افروديت . . وكانت ليلة لا تنسى ... وبزغ
الصبح . وفتحت عيني وقد راحت السكره وجاءت

الفكرة . ونظرت إلى تلك المرأة النائمة في فراشي
وقلت لنفسى : « ماذا أنا صانع بها ... اليوم الأحد
وهو يوم زيارتي المعتادة لمتحف اللوفر . هل أصبحها؟
إنها لن تطيق المكث في هذا المتحف ست أوسبع
ساعات كما أفعل . وإذا احتملت فإنها لن تستطيع
الوقوف ساعة أمام الصورة الواحدة كما أصنع . وإذا
فعلت فإنها لن تسكت عن بعض التعليقات السخيفة
التي تبدد جو تأملاتي وتفسد على نظام تفكيري .
ثم إنها ستغير برنامج حياتي . انى الآن آكل
وأعمل وقما أريد وحيثما أريد . ان حياتي غير المقيدة
بمكان ولا بزمان ولا بانسان ستصبح منذ اليوم داخل
إطار محدود من صنع هذه المرأة . إنها عبء وتبعة .
إنى لم أخلق لأسير فى الحياة وامرأة معلقة بذراعى !
ونهضت من فراشى على عجل وارتيديت ثيابى وكتبت
كلمة تركتها لها فوق المكتب خلاصتها : « انى رجل .

بوهيمى لا يصلح لرعايتك والسهر على راحتك .
فأرجو أن تحلينى من تبعه إسعادك . . فانى لست
لهذه النعمة باهل . . « .. وألقيت عليها نظرة أخيرة
وهى فى نومها العميق المطمئن ... وانصرفت . ذهبت
توا إلى مسيو « هاب » وأخبرته بما حدث فساد يصعق .
فبدأت من روعه وضاحكته قائلاً : « لا تنسى أنى رجل
شرقى متوحش . المرأة عندى يجب أن تحبس فى « الحريم »
أو على الأقل لا يكون لها دخل كبير فى حياتى . اذا
ارادت « ساشا » أن تتخذ من مسكنى مأوى لها
فلا مانع لدى . . . على شرط أن تتركنى حراً . . فلا
تخرج معى . ولا تشعرنى بأن لها فى حياتى وجودا . «
ففهم « هاب » مرادى وقال : « لا بأس . أظنها ترضى
بهذا الشرط ، ولكن نفقات طعامها ؟ فقلت له :
« فى مقدورى أن أعطيها كل يوم ثمانية فرنكات

أو تسعة (١) ، فقال « هاب » : « اغداؤها وعشاها معا ؟ »
قلت « نعم » . فقال : « اجعلها عشرة فرنكات ... »
فقبلت . وتعهد هو بأن يلقاها في ذلك اليوم ليعرض
عليها هذا الوضع الجديد . وانصرفت أنا إلى متحف
اللوفر ففرقت طول يومى فى قاعة الفن الاغريقى
متنقلا بين تماثيل « بالاس » و « ابولون » و « فينوس »
فى اوضاعها المختلفة .. آه يا اندريه ... ان فن الاغريق
هو تجميل الطبيعة إلى حد اشعارها بنقصها ...
لكأنهم يريدون ان يقولوا للطبيعة : انظرى .. كان
ينبنى ان تصنمى هكذا ! .. ومضى اكثر النهار
فدخلت إلى قاعة الفن المصرى القديم . ولا يفصل
بينها وبين قاعة الاغريق - كما تعلم - غير باب صغير .
ما كدت اتخطى العتبة حتى شعرت بفرق عجيب ...
انه عالم آخر ... ان فن مصر القديمة هو متحد صارخ

(١) أى ما يعادل وقتئذ ثمانية قروش مصرية .

للطبيعة .. لكأنهم يقولون للطبيعة : انظري ...
لا شأن لنا بك .. ولا بمخلوقاتك . إننا نستطيع
من مخيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى
غريبة عجيبة لم تخطر لك علي بال ... » . على أن
الذي استلقت نظري في هذا الفن هو أن
أسلوبه قد أوحى إلى أسلوب الفن الحديث في العصر
الحاضر إلى حد كبير . وخرجت من اللوفر وأنا أقلب
في رأسى الملاحظات والمقارنات ... وذهبت إلى
مطعم صغير أتناول عشائي ... ثم عدت إلى مسكنى
فوجدت المسكينة « ساشا » قد غادرت ناركه لى
هذه الكلمة فوق المكتب : « سيدى ... انك
لا تريدنى . وهذا هو كل مافى الأمر . ربما خيبت
ظنك . ولكنى أبحث عبثا واستعرض فى ذاكرتى
كل ما حدث أمس ... فى المساء والليل على أحد اللعظة
التي أكون قد خيبت ظنك فيها . وليس فى مقدورى

سؤالك أو الاستفسار منك . فلقد ذهبت تاركاً لي
تلك الكلمة التي تدعوني فيها - على نحو ظاهر -
إلى الرحيل . اذن ... فلم يبق لي إلا أن أسير في
طريقي ... أود على كل حال لو حدثتك مرة أخرى .
فاذا لم تر بأساً في ذلك فاني أرجو منك أن تبعث إلي
كلمة بعنوان صديقتي المسطور في أعلى خطابي .. ،
في الحق يا اندريه اني تأملت وندمت . لقد كان تصرفي
خالياً من الرفق والرحمة . ولبثت أفكر وانا اجيل
النظر في حجرتي الخالية ... ان وجود هذه المرأة
ها هنا ليس عبثاً بالقدر الذي تصورته . انها كانت
تملأ المكان على كل حال بعطرها النسائي فتغير قليلاً
من هذا الجو المغبر بتراب الكتب . ما أجملها عندما
كانت مرتدية ثوب النوم الذي أعرتها اياه البارحة .
ليتها تعود . ما أوحش الليل بدون امرأة ! وقضيت
ليلة مضطربة . وفي اليوم التالي ذهبت إليها في مسكن

— ٢٤٦ —

صديقتها، وحملتها هي وامتنعها في سيارة وعدت بها
إلى حجرتي بشارع بلبور . واخبرتني في الطريق انها
التقت بمسيو هاب في اليوم السابق وانه أخبرها
بالشرط والنظام الجديد . فعاهدته على القيام بتنفيذه
على ادق وجه . وهكذا استقر بنا الحال أياما : وكان لحجرتي
مفتاحان استبقيت واحدا واعطيتهما الآخر . فاذا
كان الصباح تركت لها فوق مكتبي الفرنكات
العشرة ثم انطلقت حرا طول يومى . فلا أرى لها
وجهاً إلا ليلا .. هنالك أحيان .. يحلو لى فيها ان
ألزم حجرتي لأكتب الساعات الطوال ... فما كانت
تنبس بحرف . بل كانت تقرأ . تقرأ كل ما يقع
تحت يدها من كتبى المكسدة . لقد عجبت اول
الأمر لكثرة مطالعتها ولأجادتها لغات عدة ...
إلى ان قصت على نساتها ... وعلمت انها ابنة مدير
احدى شركات السكك الحديدية في ألمانيا ... فلما

انهارت الشركة بعد الحرب بانهيار المارك والنظام
الاقتصادى الألمانى .. انهارت اسرتها أيضا ...
فات أبوها وتشرد اخوتها واخوانها فى أرجاء أوروبا ..
ونزحت هى إلى فرنسا حيث وجدت ذلك العمل الذى
شغلته فى وكالة السفر .. حتى فقدته هو الآخر جريا
وراء قلبها .. انها بوهيمية هى الأخرى من الطراز
الأول . على أنها لم تفهمنى أيضا كما كان ينبغى .
فانه لم يمض على نظامنا هذا عشرة أيام حتى نسيت
مراميه واغراضه . وإذا هى تترك لى فوق مكتبي
هذه الكلمة : « عزيزى .. انك تتغيب طويلا .
لكأنك تعتمد الهرب من حجرتك ومن وجودى .
على الرغم من الجهد الذى أبذله حتى لا اضايقك او
اثقل عليك . وحدثك هذه تكاد تشعرنى بأنها
مظهر استياء منى . وانى لأبحث عبثا عن السبب .
يا صديقى العزيز .. انى لأرجوك من كل قلبي ان

تخبرني عما لا يعجبك مني . قلها بصراحة .. فربما
كان في الامكان رتق رباط الثقة والاطمئنان الذي
يصل احدا بالآخر . هذه الثقة ... وهذا الاطمئنان
الذي تخلو منه نفسي في هذه اللحظة .. ربما كنت
مخطئة في هذه التقديرات ربما كنت مسرفة في الوم
فأخذت شعلتك بعملك على انه شغل عي . مهما يكن
من أمر طمئني بكلمة . إني حزينة جدا . إني خارجة
استنشق بعض الهواء وأرفه عن نفسي قليلا . ولكني
أرجو أن تكون على ثقة من أن إخلاصي هو لك
وباق لديك . . . ، الواقع يا اندريه اني عجبت لهذا
الخطاب . إن الاخلاص او الحب او اى عاطفة من
هذا النوع لم تكن داخلة ضمن الشرط بأى حال .
وإني لأعلم أن « ساشا » لم تحبني على الاطلاق
حقيقة هي لم تذكر لي شيئا عن صاحبها الاسبانى منذ
مجيئها . ولكن ليس معنى ذلك انها نسيت . لقد

كانت تقرأ ذات ليلة في الفراش كمادتها قبل النوم .
وكنت أنا أكتب على مكتبي او اطالع . وإذا بي
اسمع صوت عبرات مكتومة فرفعت عيني فوجدتها
تحاول اخفاء بكاؤها . فسألتها عما بها . فكانت صريحة
وقالت إن يدها وقعت تلك الليلة على « دون كيشوت »
واقاصيص نموذجية من أعمال سرفانتز فغمرها في
ذكريات .. ثم قالت وهي تمسح دموعها بيدها :
« لم أكن أعلم أنني اجد هنا كتباً اسبانية » . فقلت
لها : « عجباً ! او كنت تريد ان اتجاهل الأدب
الاسباني وأستبعد مؤلفات « سرفانتز » ، ومسرحيات
« كالدرون » و كوميديات « لوب دى فيجا » لأن
لك خليلاً اسبانياً ؟ » . اجل يا اندريه .. لم يكن بيننا
حب قط .. ولا أذكر اننا تبادلنا كلمة واحدة فيها
حرارة العاطفة الملتهبة . هذا شيء لا يمكن ان يحدث
مع امرأة موجودة . موجودة امامي في كل وقت .

ان اللحظة الوحيدة التي احببتها فيها حقاً هي ساعة دخولها المشرب اول مرة مع صاحبها الاسباني . انها كانت رائعة . لأنها كانت شيئاً في السماء مثل كوكب يتلألأ لا يمكن ان تمتد اليه يدي . ولكن هذا الكوكب ما لبث ان وقع في كفي فاذا هو مصباح ضئيل .. يحتاج الى يدي القاصرة لئلا يملأ بالزيت وتحميه من التعطم والسقوط . اني لم ازل احب « إيما » لأنها شيء بعيد .. غير موجود في كل وقت .. يرتفع إلى غناؤها من نافذتها كأنه شمع يأتيني من بعيد . انها اعطتني بعض اسرار نفسها وجسمها .. واكنها مع ذلك ليست في يدي . شأنها شأن الطبيعة التي تعطينا وتستغنى علينا . ان الحب قصة لا يجب ان تنتهي .. قصة إيما مستمرة لا تريد ان تنتهي . ان الحب مسألة رياضية لم تحل ... ان جوهر الحب مثل جوهر الوجود . لا بد ان يكون

- ١٥١ -

فيه ذلك الذى يسمونه « المجهول » او « المطلق » .
ان حى (الحب) عندى هى نوع من حى (المعرفة) .
واستكشف المجهول والجري وراء المطلق .
ماذا يكون حال الوجود لو ان الله قذف فى وجوهنا
نحمن الآدميين بتلك المعرفة او ذلك المطلق
الذى تقضى حياتنا بجري وراءه ؟ لا استطيع تصور
لحياة يومئذ . انها لاشك لو بقيت بعد ذلك لصارت
شيئا خاليا من كل جمال وفكر وعاطفة . فكل
ما نسميه جمالا وفكرا وشعورا ليس الا قبسات
النور التى تخرج اثناء جهادنا وكدنا وجريتنا خلف
المطلق والمجهول . لو ان « ايما » قبلت ان
تترك حجرتها كما عرضت عليها وتأتى لتقطن معى
فى حجرتي لكان حظها عندى حظ « ساشا » . هنا
الفرق بين (الغرام) و (الزوجية) . انى ادرك الآن
لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين إذا تزوجا . وقد

يعود إلى سابق اشتغاله اذا عادا خليلين ، لكل
منهما حياته المنفصلة . ان الانفصال هو الذى يفرى
بالاتصال .. لهذا كله كانت حياة (ساشا) معى
اقرب إلى الحياة الزوجية الخالية من أى عاطفة
قوية . فامعنى خطابها هذا الذى كتبتة اليوم ؟
اتراها انوثة المرأة تنسى كل شرط وكل اتفاق ولا
تذكر الا الرغبة فى أن تشغل قلب الرجل ؟ ..
وماذا أنا قاتل لها ؟ مادمت أوقن بأنها لا تحبى ...
وطويت رسالتها وطرحتها جانبا . ومضيت فى
عملى ومطالعاتى ... إلى أن حادت ومعها نسخة
من صحيفة يومية . وأخبرتني مبتهجة بأنها
وجدت لنفسها عملا . فلقد قرأت إعلانا فى
الجريدة لأحد المسارح الراقصة يطلب فتيات لمن
أجسام جميلة تصلح لرقص المجموعة . فتقدمت
فى الحال وكان نصيبها الفوز . فإمن شك ان

جسمها يعد خير نموذج لجسم المرأة الجميل . على
أن المسرح لن يعطيها بادي الأمر أكثر من
خمسة من الفرنكات في الشهر . وقالت لي وهي
تخلع قبعاتها وتنثر في الهواء شعرها الأشقر :
« لا أستطيع كيف أشكرك على معونتك لي .
ولكى أرجو منذ الغدا أن تكف عن منعى
الفرنكات العشرة . على أنى لم ازل بعد فى حاجة الى
مشاركتك حجرتك . . لأن ربحى كما ترى لا يسمع
لى حتى الآن باقتناء مسكن خاص . . » فقلت لها :
« يا عزيزتى . . الآن فهمت سر خطابك . . .
أحسبت انى اهرب منك استياء وتبرما وضيقا بعبء
العشرة الفرنكات ؟ . . نخرجت تبحين عن عمل ؟
على كل حال . انت حرة فى شئون حياتك . وانى
دائما عند تعهدى بأن أكون فى معونتك وخدمتك
على الوجه الذى تريدن . » واستمرت حياتنا المشتركة

تجربى فى مجرى هادىء . فكلانا له شغل منفصل
عن الآخر . وحياء مخالفة لحياء الآخر ... لا يجمعنا
إلا الليل فى فراش واحد . ولم يخطر على بالى حتى
مجرد التفكير فى نوع عملينا أو المقارنة بين حياتى
وحياتهما منذ ذلك اليوم . فأنا طالب قانون وفلسفة وعلم
وفن وأدب وهى راقصة فى مسرح راقص من طراز
« الفولى برجير » أو « المولان روج » ... لست
أذكر اسمه . . ولعلنى لم أسأله عنها ... ولا بد أنها
أخبرتني باسمه وبخبره فلم احفل بذلك ولم أع ما قالت
ولم انصرف بذهنى عما كنت اقرؤه وقتئذ أو أفكر
فيه . . ولم اشعر أنا بتغيير فى نظامنا سوى انقطاعى
عن منعها أى نقود . لقد حدث تغيير فى نظام حياتها
هى . فهى تعود إلى الحجرة كل ليلة بعد التمثيل فى
آخر قطار من قطارات المترو . تعود « بالما كياج »
مطلية من رأسها إلى قدميها بالأحمر والأبيض .

فليس في مسرحها ولا في بيتنا حمام . فتدس جسمها
المطلى في الفراش على هذه الصورة ... لقد انزعجت
حقاً أول الأمر يوم نهضت في الصباح فابصرت
جسمي انا الآخر قد نضع بتلك الالوان ... ولكن
انزعاجي لم يقف عند هذا الحد . انها تعلمت التدخين
بالطبع وأنا أكره رائحة الدخان ... فالويل لي عند
ما كنت آوى إلى فراشي ذات ليلة مبكراً ... انها
كانت تعود آخر الليل والسيجارة في فمها وتسير في
الحجرة على أطراف قدميها حتى لا توقظني وتطرح
مطفئها الثقيل عن جسمها العاري - إلا من «مايوه»
الرقص - وتذهب إلى المطبخ فتأتي بشطيرة خبز
اخلاها سردينه . فهي جائعة . ويجذب من بين كتفي
قصه لفلوير أو بلزالك أو عشيية لبورتوريش أو
لنورمان ... فهي مقيمة على عادة القراءة قبل النوم ...
وتضيء المصباح الكهربائي على رأس السرير . ثم

ترفع عني الغطاء برفق وحذر... وتدخل الفراش إلى جانبي بسردينها ودخانها وكتابها وأحمرها وأبيضها وتحسب بعد ذلك كله أنها حرصت على عدم إيقاظي وازعاجي ! .. لظالماتها نهضت لأنهرها وأطلب إليها أن تبطل هذا كله وتنام . فكانت تستعطفني وتستمهلني حتى تم قراءة القصة ! « تتمين قراءة القصة ؟ الليلة ؟ .. » الواقع أنها كانت سريعة القراءة إلى حد كان يدهشني . أنها تم قراءة القصة التمثيلية في ساعة واحدة . وأنا الذي أقرأها في يومين أو ثلاثة . ولكن هنالك فرقاً هائلاً بين قراءتي وقراءتها أنها تقرأ للحكاية في ذاتها . أما أنا فلا تغنيني حكاية الكاتب بل يعنيني فنه وسر صناعته وطريقة أسلوبه في البناء وخلق الأشخاص ونسج الجوارح والحدثات التأثير . اني أعيد أحيانا قراءة الفصل الواحد .. بل الصفحة الواحدة . مرات... لكم أعدت قراءة مولير لا لشيء غير

دراسة طريقته في تقديم الأشخاص ورسم أخلاقهم..
تلك الطريقة التي تختلف أحيانا وتتغير في كل رواية
من رواياته .. لذلك لم نكن قراءة « ساشا » تصلح
أساسا حتى للمناقشة ومبادلة الرأي .. وما كنت
أجنى منها إلا ذلك المصباح المسلط على رأسي والدخان
الذي يضيق به صدري في ذلك الهزيع الأخير من
الليل . انها كانت أحيانا تخشى غضبي فتقفز في
مطالعها فصلا أو فصلين وتصل إلى خاتمة الكتاب
سريعا . ثم تطفىء النور . وتجذب الغطاء فوقها جذبة
تتركني أنا في العراء . فلا أتملك نفسي . وأقرصها
قرصة تصرخ منها في جوف الليل . ويأتي النهار .
فتستيقظ في الضحى . وأبقى أنا في السرير كسلا ...
وتسرع هي إلى ثياب الخروج فترتديها لتذهب
إلى المسرح في ميعة التجارب « البروفات » ...
لبننا معا في هذه الحياة ثلاثة شهور . لم يحتل

نظامها أو قل « فوضاها » قيد شعرة . حتى تمودت
احتمالها . . فنذر غضبي أو ضجري . وبدأت هي تهتم
بما أعمل بعض الاهتمام فكانت تسألني أن
أطلعها على ما أكتب من حوار أو قصص . . فما
كنت أقبل ذلك . . لست أدرى لماذا . . . أما هي
فكانت تسألني رأيي في بعض الحركات الجديدة لرقصها .
فكنت أتبرم بذلك أيضاً فهذا ليس في عرف رقصافنيا .
الرقص الفنّي عندي هو « بافلوفا » و « فولر »
و « إزادورا دونكان » . ورقص الجوقات والمجاميع
في الأوبرات الرفيعة أو في « الباليه الروسى » أو
حتى في الرقصات الدينية التي نراها منقوشة في الفن
المصرى والهندي . ولكنها كانت تحرك سيقانها ورأسها
وذراعيها في الحجرة فلا أجد مفراً من النظر . كنت
أقول لها ان رقصها هذا في المجموعة جماله ليس في
ذاته بل في التناسق العددي لكميات الأذرع والسيقان

التي تتحرك في وقت واحد . وليته مع ذلك كان
بالروح الفنى المعروف فى راقصات المعابد الهندية ١٢
ولقد ألحت على الحاكماً شديداً فى أن أذهب مرة
لمشاهدتها على المسرح .. وأحضرت لى تذاكر
مجانبة . فلم أجد من نفسى يومئذ حافزاً على الذهاب.
وليتنى ذهبت ... وكاد ينتهى الشتاء فجاءتنى ذات
يوم تقول ان المسرح سيوفد الفرقة الراقصة لتقوم
برحلة فى « نيم » و « اورانج » و « افنيون » فى
جنوب فرنسا . وقد تستغرق الرحلة شهراً أو شهرين.
وجعلت تتجهز للرحيل وهى ترجونى وتزىنى لى أن
أذهب معهم فى هذه الرحلة فضحكت للفكرة :
« اذهب فى رحلة الراقصات بأى صفة وعلى أى
وضع ؟ أبصفتى صديق الراقصة .. هذا جميل جداً ...
ومن يدرى ربما علت من الرحلة وقد عينت
نهائياً راقصاً بالفرقة أو شيئاً من هذا القبيل ؟

كلا يا عزيزتى ساشا ... إني لا أستطيع أن أترك
باريس واللوفر والكتب والحي اللاتينى ومونمارتر
وبلبور .. اذهبي أنت وسيرى بمفردك فى طريق
حياتك وإني أتمنى لك التوفيق والنجاح .
وودع أحدهما الآخر وداعا حارا . وشعرت فى تلك
اللحظة بشئ من السعادة لعودة حريتي الكاملة إلى ...
ووجدتى المطلقة ...

— ١٦١ —

الاسكندرية في . .

عزيزى اندريه

لو خطر لك أن تسألنى عن عملى طول هذا الزمن
(من حيث الأدب والفن) لأجبتك على الفور هذا
الجواب : هو العمل المتواصل على نحو كل ما علق
بى من الأدب والفن . وقد نجحت . فلم يبق واحد
من القلائل الذين كانوا يعرفون ميولى الأدبية يذكر
هذه الميول . لقد نسوا الآن ذلك ، وأصبحوا يعرفون
عنى كل شىء الا الصلة بالأدب والفن . على أن
هنالك شيئاً واحداً لم أفو على محوه . انى يا اندريه
ما زلت أردد كل يوم فى أعماق نفسى كلما خلوت إليها

زهرة العمر

السانفونيات رقم «٥» و«٦» و«٤» و«٩»
بكل تفاصيلها . إني أصبحت آلف يتهوفن إلى
درجة يخيل إلى معها أني فهمت سر كتابته وتأليفه
مع جهلي المطبق بالموسيقى . إن اذني لا تستطيع
الآن أن تمخض في أسلوب يتهوفن بين مئات
الأساليب لمئات الموسيقيين . إن قدرة يتهوفن في
البناء الصوتي تكاد تفتح أمام ذهني اسرار كل بناء
في آخر . بل اسرار البناء في الطبيعة نفسها . . .

- ١٦٣ -

الاسكندرية لى . .

عزيزى اندريه

قلت لك انى استطعت الاستغناء عن كل شىء
إلا الموسيقى . هذا صحيح . وإنى بعد أن ختمت
رسالتى السابقة إليك طفقت أفكر وأتساءل : لماذا
الموسيقى دون التصوير مثلا ؟ إنى أحب التصوير
كما تعلم . الواقع ان الآثار الموسيقية القيمة فى
متناول يدى بمختلف الوسائل . أقربها وأيسرها
الحراموفون . ولكن كيف وأين أتأمل هنا فى مصر
لوحات « جيوتو » و « انجليكو » و « مملنج » و
« رمبرانت » ؟ ان لى بالطبع أغلب آثار عظماء

المصورين منقولة ومطبوعة طبعا متقنا . وإني
لا تأملها من حين إلى حين . ولكن ليس الحال في
الصور كالحال في الموسيقى . ان الموسيقى المنقولة في
اسطوانات تعطيك على قدر الامكان فكرة شاملة
عن الأثر الفني كله . ولكن الصورة المنقولة محرمك
أهم ركن من أركان العمل الفني : وهو التلوين . ماذا
يبقى لي مثلا من لوحة « باخوس » لدا فنشي إذا
جردتها من لونها العجيب . انها صورة فتي لا أكثر
ولا أقل . فتي يمثل إله الخمر . ولكن اللون والتلوين
كأنه السحر قلب الصورة فاذا هي عنقود من
العنب . من عنب فلورنسا الأحمر الداكن . ما نظرت
مرة إلى هذه الصورة الا صحت في نفسي : يا معجزة
الفنان الذي استطاع بريشته أن يجعل الآمى عنقوداً
ولكنه التلوين . ان الرسم ليهبط أحيانا إلى المحل
الثاني في بعض آثار المصورين . فكيف تريد مني

- ١٦٥ -

أن أعيش مع صور فنية بغير ألوان ؟ .. وبغير ألوانها
الأصلية التي كد الفنان في تأليفها . لقد قيل ان
« ليوناردو » كان يصنع أو يطبخ ألوانه بنفسه في
معمله المغلق . لقد كان أكثر مصوري عصر النهضة
يفعلون ذلك فيما يظهر . وكان تركيب ألوانهم سرّاً
يحفظونه كأنه تركيب أكسير الحياة ؟ وفيه العجب ؟
ان اسرار اللون في الصورة الفنية هو سر خلودها .
انه أ كسير حياتها ... ؟

— ١٦٦ —

الاسكندرية ل . . .

عزيزى اندريه

أتراى أغالط نفسى ؟ أخشى أن يكون حبي
للموسيقى الأوروبية مصدره أنها قبل كل شيء بناء
ذهنى . ذلك ان موسيقانا الشرقية وهى قائمة على الطرب
والتأثير المادى لا تسترعى منى اليوم أى التفات .
الواقع ان الموسيقى الأوروبية بناء فنى ذهنى . شأنها
فى ذلك شأن القصة التمثيلية ... والهندسة المعمارية .
بل شأن المذهب الفلسفى والتفكير الرياضى . انى
ما زلت أذكر قولك لى يوما ان « عقليتى رياضية » .

— ١٦٧ —

ربما كان هذا صحيحا .. لقد كذبت عليك وعلى
نفسى إذ أخبرتك انى أحل الألوان المحل الأول فى
آثار المصورين . الواقع ان الذى يثير اهتمامى فى
الصورة قبل كل شىء هو ما يسمونه *la composition*
بنيانها وتركيبها وما يسمونه *le rythme* رويها.
وتنظيمها . فمثلا لوحة «المسيح يحمل صليبه»
لرفاييل أذكر منها كل تفاصيل تركيبها الحكم
بمواضع أشخاصها وحركات أجسامهم وإيماءات
رؤوسهم وإشارات أيديهم وطيات ثيابهم ... كل هذه
الأشياء أبصرها وقد اتسقت خطوطها واتزنت
وكونت فى عالم الضوء والرؤية تركيبا جميلا منغما
كأنه قصيد لا ينفويه لفظ عن الروى .. أما الألوان
فلا أذكرها كثيرا لأن عيني لم تمتلئ بها . امتلاء
العين بالألوان فى الطبيعة والحياة والفن شرط لازم

فى للتصوير . ان العقل فى فن التصوير ليس فى الرأس
بقدر ماهو فى العين... العين النعمة التى تبصر وكأنها
تغترف وتلتهم ... تلك عين المصور المبدع التصوير
فن حسى أكثر مما هو فن ذهنى . الآن أدركت
السر الذى طالما حيرنى أمام لوحات « روبانس » .
لطالما تساءلت : ما هذه النساء المقلتات لحما وشعما ،
ذوات الأرداف المترججة والحدود المتوردة ، ممن
نبضت بهن ريشة ذلك الفنان . ولطالما تساءلت عن
الغرض الذى دفع مثلا « بول سيزان » إلى تصوير
طبق من التفاح ... ولطالما عجبت لغامرات « بنفنونو
تشيلينى » المسطورة فى مذكراته المشهورة وما فيها
من نهم حسى وحشى لمتع الحياة .. الحقيقة ان الفنان
المصور يجب أن تكون حواسه المادية وعلى الأخص
حاسة البصر متيقظة لألوان الطبيعة إلى حد النهم
الوحشى . الفنان النابض بالحياة اما أن يكون متيقظ .

— ١٦٩ —

الحاسة إلى حد الوحشية أو متيقظ الروح إلى حد
الصوفية . فى المصورين كذلك طائفة من المتصوفة .
لعل خير مثل لهم هم السابقون لعصر النهضة قبيل
القرن الرابع عشر les primitifs . . . على أن الیقظة
الروحیة أو الحسیة فى الفن لیست فى رأی وقفا على
عصر من العصور . فهى ترجع أحيانا إلى طبیعة
الفنان وحده وحالات نفسه المتغيرة أحيانا . فريشة
« روبانس » التى صورت « امفريت » زوجة إله
البحر « نبتون » كأنها امرأة تزن ثمانين كيلوجراما ..
بيضة .. غضة .. كتمثال من الزبد ... لا ينبعث
منها أى معنى غير معنى المادة الحية والشهوة الحسية ...
هذه الريشة نفسها هى التى صورت « انزال المسيح
عن الصليب » على نحو رائع ... كله جمال روحى
يبعث فى نفس المشاهد خشوعا ورحمة وشعورا دينيا

— ١٧٠ —

عميقا . ان الفنان هو الكائن العجيب الذى يجب
أن يلخص الطبيعة كلها بمادتها وروحها فى ذاته
الضئيلة المحدودة . هو ذلك الكائن الذى يعيش فى
داخله الحيوان والاله جنبا إلى جنب ... ؟

— ١٧١ —

الاسكندرية لى . . . :

عزيزى اندريه

لماذا لا تصرح بالحقيقة وتقول لى فى غير مداراة :
رح انت لا تحب الأدب ؟ يمنعك من ذلك شىء
واحد : انك منذ عرفتنى لم ترنى اعنى فى حياتى بشىء
آخر غير المطالعة والتأمل . ومع ذلك فما انذا اليوم
لا أحب أن أطلع ولا أن أتأمل . . .

آه يا اندريه . لماذا لم أتعلم فى صفرى الموسيقى .
إنى خلقت لأعيش كل حياتى فى عالم الأصوات
وحده . اندريه ... يقوم فى نفسى الآن شك كبير
يوخزنى . شك فى علاقتى بالأدب والفكر . أعترف

- ١٧٢ -

لك يا اندريه كأنه اعتراف أمام قسيس ، انى لا أقرأ
اليوم خلا رسائلك شيئاً . فقدت لذة القراءة . لعل
أبالغ فى الجملة . لكنها الحقيقة فى قسط كبير . كاشفى
بحقيقة أمرى ولا تحاول مجاملتى أو مداراتى وقد
كشفت لك عن شكوكى . إنى أصغى إلى الموسيقى
لا للفائدة ولا للاطلاع ولا حتى للحاجة الفكرية أو
السمو الروحى . إنما للحياة نفسها . إنى أعيش بين
أنعامها كما تعيش النحلة بين ألوان الأزهار . إن
الجمال الذى ينبعث من تناسقها الفنى تدركه فى نفسى
أداة أدق من الفكر الواعى . لماذا لا أقرأ كذلك .
إن القراءة عندى جهد ومشقة ووعى وبقظة . ولاشئ
غير ذلك . إنى أوجه إليك هذا السؤال ولن أنفك
أسألك الجواب : هل حقيقة يترك وبين ضميرك
تعتقد أنى سأنتج شيئاً فى شئون الفكر
والأدب ؟ ... ؟

الاسكندرية لى . . .

عزيزى اندريه

ماذا تريد منى ؟ نعم إني أطلب إليك وأريد
منك لأنك تستطيع أن تعطينى . يدهشنى فى كل
رسائلك شىء واحد : انك تريد أن أكتب إليك .
ولعله كرم خلق منك . أما أنا فلست أكتب عنك .
لو أنى فى مكانك وأنت فى مكانى لما ترددت فى قطع
الصلة بهذا الرفيق الناضب المفلس . ما الذى تستبقينى
من أجله ؟ هذا دائماً ما لست أعرفه . تذكرنى هذه
المناسبة بفكرة خطرت لى منذ زمن هى أن أكرس
لك خطاباً طويلاً أحدثك فيه عن الصداقة . فلقد

هالتي أن أصحو في فترة من هذا السبات الذهني فلا
أجد حولي ها هنا صديقا ولا رفيقا . ولعل الذنب
ذنبى . فقد لحظت من حالى العصبية ومن ضيق
صدرى تعذر جلوسى الى الرفاق . كما أنى لحظت
هدوء نفسى وانتظام تنفسى واتساع صدرى كلما عدت
الى حظيرة الوحدة المطلقة . فى أحضان الوحدة
وحدها أتفلس الصعداء فى لذة وراحة . أهو مرض؟
أهو توحش ؟ أهو حال عارض طارىء ؟ لست
أدرى حتى الآن . ان مجرد الاختلاط العادى
والاجتماع فى ذاته حتى مع من يروقنى مجلسه أمر يشق
على نفسى ويعد فى نظرى من الأهوال . تستطيع
أن تقول انى اليوم فى فترة من حياتى وقفت فيها حركة
القلب والعقل معنويا . إنى أحس نفسى الآن تهبط
إلى مجرد الآلة . إنى غير جدير بأى عمل يحتاج فيه
إلى العقل أو إلى القلب . الحب ! يخيل إلى أنه التفاحية .

التي لم أذق حلوها قط ولا أود قط أن أعصى الله من أجلها . وماذا تريد من شخص لا يعرف حتى الصداقة العقل والتفكير ، آه .. ذهب ذلك الفتى الذي كان يقرأ الكتاب ساعة ويسبح في التأمل والاستنباط ساعات . وماذا تريد من شخص لا يقوى على فتح جريدة ! كل ما في الانسان من آلة وآلى هو أنا الآن . أنا اليوم شيء أقل بكثير من إنسان . ومع ذلك يا عزيزي أندريه تشاء بي سخرة الله أو الشيطان أن أسمع وصفا عجيبا لي جرى به لسان رجل عجيب . كان ذلك في إحدى الزيارات العائلية ساقوني إليها مرغما . فجلست لحظة ثم همت بالانصراف . وإذا رجل يدخل فيجلس . وإذا الحاضرون يقبلون عليه طالبين إليه أن يقرأ أ كفهم . وقيل لي انه رجل من ذوى اليسار ومن معارف أصحاب الدار . ولكنه ولم يعلم الكف منذ صغره وأنفق عمره في الاحاطة

به والتعمق فيه حتى حذقه ، فلم يخطئ مرة في
توجيهه . وفرغ الرجل من النظر في أكف الحاضرين
ودعاني أحدم أن أمد كفي إليه ففعلت . فنظر الرجل
فيها ساعة ثم رفع عينيه إلى وجهي . ولعله ما رأى
فيه غير ابتسامة التشكك في علم رجل غير ذي منظر
ولا هيئة يمان عن ذكاء . لقد كان رجلا بدينا أصلم
ضعيف البصر ، ترسم على وجهه السذاجة إن لم أقل
الغباء . لقد مثل في رأبي صورة للعمدة الفلاح الجاهل
البسيط . ولكنه عندما تكلم قارئاً كفي فاء بالفاظ
أدهشتني . أالفاظ لا تجرى إلا على ألسنة أهل العلم واللفطنة
والثقافة . وإليك نص ما قال : دانت روحاني طبيعتك
روحانية . (وهنا طلبت اليه تفسير هذه الكلمات فقد
عجبت لنطق مثله بمثلها ثم نعتي بـذلولها وهو لا يعرف من
أمرى شيئاً . ولم أتكلم طول الوقت إلا بالثافه من كلمات

المجاملة . وكنت دائما أصفى الى الآخرين . ولعل
كنت أصغر الحاضرين شأنا وأقربهم إلى هيئة الحق
والبله) فأجاب : « لا تسألنى تفسيراً . لا تسألنى فى
غير ما أرى : أمامك الشمس ... الشمس لا ترى فى
كل كف ولا فى كل طالع ... الشمس أراها فى نجوم
حضرتك ا . . . ولكن حضرتى ما كان يعنيه
بالضرورة غير مسألة « أكل عيشه » وكسب قوته .
فأسرعت قائلاً : « وماذا غير ذلك ؟ » فضى
يقول : « ثم انك من حيث الثروة والسعادة قنوع .
سعادتك فى القناعة . والفنى عندك قناعة . يعنى لن
يكون غناك فى المال . » ثم قال : « وانت تحب العزلة .
انت مثل رجل منقطع . . . » هنا شعرت برجفة .
تلك يا أندريه هى الحقيقة الوحيدة التى اعتقدت أن
الرجل قدفاه بها . ولا تستطيع أن تتصور مقدار
دهشتى عندما قال ذلك خصوصاً فى وقت كنت

أكثر فيسه من تأمل حالي المزججة . ونظر الرجل
أيضاً ثم قال شيئاً غمى وغم أهلى على الخصوص .
فقد قال أفاده الله : « فقط .. فقط ... لست
أرى طريقك في مناصب رسمية . » فلم أرد فهم
مراده . بادی الأمر . وخالجنى قلق وكدر
فأنا لم أزل مستبشراً بوظيفتي القضائية التي كادت
تم إجراءات تعييني فيها ... فقلت له : « وماعنى
طالعي اذن اذا كنت لا ترى لى طريقا فى وظائف
ال... » فقاطعنى بعنف : « أنا أرى فقط ولا
أفسر » .. لقد أوردت لك يا أندريه ، نص
ألفاظ الرجل على وجه التقريب . فما رأيك ؟
إذا أردت رأيي أنا فاعلم انى ضعكت فى نفسى
كثيراً لقوله لى « روحانى » ، من العجيب أن
يجىء قوله هذا فى وقت أوقف فيه بآنى « مادی » المادية
كلها بل « آلى » الآلية كلها . لقد كدت أصبح فى

الرجل قائلا : أيها المنجم ، انى أوثر أن أmsخ قردا
على أن تصدق فى « روحانيتك » هذه . ما أضاغنى
إلا هذه الروحانية . أما « الشمس » أيها المنجم فانى
أبيعها لمن يشتريها من الحاضرين بمبلغ مائة وعشرين
قرشاً ثمن تذاكر دخول كازينو سان ستفانو لحضور
« كونسيرات » الخواجه بونوى ! « القناعة » !
سأعيش بالقناعة طول حياتى ؟ يا للبؤس ! لماذا ؟
لأن القناعة تاج دائم ؟ ! لا يا سيدى المنجم .
انى مستعد أيضاً لمرض هذا التاج للبيع بالمزاد .
سأبيعه بالبخص كما بيعت تيجان آل رومانوف
والخليفة العثمانى . نحن نعيش الآن عصر تحول فيه
التيجان الى ورق من البنكنوت ! إن هذا العالم
بالكف الذى لم يخطئ مرة ، قد أخطأ هذه المرة ،
حتى يحق له ان يقول انه أخطأ مرة . فالاستثناء
يسبغ أحياناً على الأخبار رداء الصدق والحقيقة .

آه يا اندريه ! انى فى حاجة الى ان يدق القلب دقتين
أو ثلاث ، ثم يقف ... لدينا ساعة كبيرة فى ردهة
الطابق الأسفل . جئت من أوروبا فوجدتها . وقيل
لى إنها مشتراة فى مزاد عام ، منذ ثلاثة أعوام .
ساعة سليمة دقيقة تسير على خير ما تكون الدقة
والضبط ... ولم تعرف قط يوما الوقوف ولا التأخير
وإذا بها ذات يوم قد وقفت فجأة . فدهش لذلك
أهل البيت . وما جوا وما جوا . وجعل كل يقترح
أمرا لأصلاحها . فحاولت أنا إصلاحها فلم تصلح .
وسمع والدى بأمرها فنزل من حجراته إليها يعالجها
باللين فلم تصلح . فطلب مطرقة وجعل يدق بعض
ما فى هيكلها من مسامير ويفك بعض ما فى جوفها
من تروس . فلم يظفر بطائل . فتركها آخر الأمر
وتركناها يائسين . وإذا بها ذات ليلة تدق فى جوف
الليل من تلقاء نفسها والكل نيام ، دقتين أو

- ١٨١ -

ثلاث .. فى ذلك السكون التام .. ومنذ تلك اللحظة
سارت . ولا يدري غير الله ما أوقفها وما سيرها !
ترى بعد موت طويل يستطيع القلب ان يدق
دقتين أو ثلاث ، يعقبها البعث والحياة ؟! .. ما

— ١٨٢ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

مات «بونومى» ! مات «إدجار بونومى» !
الأحد الماضى فقط . منذ ثلاثة أيام رأيته فى كازينو
سان استفانو يقود «أندانت» السانفونية الثانية
و «أليجرو» السانفونية الأولى «لجوستاف ماهر»
وال *Antiche danza* «لرسييجى» . وكونسرتو البيانو
والأوركستر «لأدوار جريج» . . فقط أمس
الأول سمعت صوته فى طرقات الكازينو بعد
«بروفات» الأحد القادم !
وفقط أمس ظهرت على جدران رمل الاسكندرية

لأعلانات المعتادة لأسماء القطع التي ستعزف في
الحفلة المقبلة . وعلى رأسها « La Rédemption »
لسيزار فرانك . إدارة الكازينو حاهلة ما يخبئه
عزرائيل للمايسترو المسكين ! فهي ما زالت كمادتها
جادة في اصدار الأعلانات وتوزيعها متوجة بالعبارة
المألوفة : « الكونسير سانفونيك : رقم ١٤ تحت
قيادة المايسترو ادجار بونومي » .

إلى رحمة الله يا بونومي !

حتى انت ! الوحيد الذي لنا في مصر !

إن موت هذا الرجل نكبة عندي . ومها يكن
من أمره وأمر فنه . فقد كان لي فيه العزاء والسلوى
في هذا البلد الفقير الى الفن . قل ان الله يريد حرماني
كل مصدر سعادة روحية : حتى انقلب في النهاية
بهما يرعى أرض مصر الخصبية !

لا بأس . فلنرجع الى الجراموفون الآلى .

— ١٨٤ —

ولكن . . . رحمة الله عليك يا بنومي بمقدار ما
أسعدتني في حظّات . . .

اندريه : هذا ثالث خطاب اليك من سلسلة
خطابات مكتوبة ولا شك تحت تأثير حالة تشبه
واحدة . وأخشى أن تفسر هذه الحالة بما اعتدت أن
تفسرها به . قائلًا : « أوه ، اني أفهم حالته جيدًا
من خلال سطورهِ » . الواقع انك قدير على
استشفاف ما بين سطوري . غير اني لا أريد أن
تفهم أكثر من اني الآن في حالة كآبة مازنة
وهل لا تعطيني حتى حق الوقوع في الكآبة من
حين إلى حين ؟ لكن ثقب انها حالة نفسية داخلية
لا أثر لها في تصرفاتي الخارجية ولا صدى لها في
أعمالي الظاهرة ولا تظهر حتى لأعين غيرك من
الناس . ومع ذلك فاني قد محوتها أو سأمحوها من

أمام عينيك أنت أيضا . لاني أعلم أنك لا تحبني
مكتئبا . نعم . يجب على أن أخطبك ضاحكا دائما .
والإحق لك أن تصيح بي : « اضحك أيها البلياتشو »
كما حق للجمهور أن يصيح بيلياتشو (ليون كافاللو)
في (الاورا) المشهورة !

نعم . لماذا أطلعك على الأركان السوداء من
حياتي ؟ أنت الذي لا يأخذ حياتي على سبيل الجد .
فلا لبسن لك « الطرطور » ولأذهن لك الوجه
بالدقيق . ولتدق الطبول . ولينفخ في البوق ويرفع
الستار عن الفصل المضحك :

إسمع يا سيدى . أيام أن كان صديقك الشرقى
يتناول الغداء في المطعم الأتراسى ، لقد زعم أن
« الساقية » الرشيقة خادم المحل كانت تخالسه النظر .
الواقع أنها منذ وقع بصرها عليه أول مرة وهي لا تفتأ
ترمقه كلما مرت به حاملة طبق الكرنب المعمر يسجد

« فرانكفور » أو « نصف بيرة » أو « واحد »
جين « كامبير » . لقد عجبت حقاً لأمر هذه الجميلة
التي سغت على بكل هذا العطف ، إذ خصتني بالتفاتها
دون أولئك العديدين الذين لا يأتون إلى هذا المكان
إلا من أجلها . أجل يا سيد اندريه . لم تكن أنت
وحدك الذي كان يصنع ذلك . لقد كانت هنالك عصابة
شبان يظهر انهم من الترويج . كانوا يختلفون إلى ذلك
المطعم لرؤية « القمر » في نصف النهار ! أما عن
فرح « توفيق الحكيم » بهذا العطف الخاص فحدث
ولا حرج . لقد شمع وانتفخ وقال لنفسه : « لعل
ميزة خفية أو ظاهرة فيّ هي التي استلفتت نظر
الفتاة ! » . وأراد يوماً أن يتسم لها . ولكنه نظر
قبل ذلك إلى وجهه في المرآة . وإذا هو فجأة يدرك
سر نظرات الجميلة اليه . يا خيبة الأمل ! وتذكر في
تلك اللحظة ان نظراتها كانت موجهة في حقيقة

الأمر إلى رأسه .. إلى شعره . إلى ذلك الشعر
المنفوش « أرتستيك » ومن تحته ذلك الوجه الغريب
بعينه اللتين تشبهان أعين أهل الأساطير الدينية
المصورة في القسيفساء البيزنطية ، وشفتيه الغليظتين
الافريقييتين كأنهما شفتا ساحر زنجي ... عند ذاك
تذكر أيضا ما قالته فيه خادم الأسرة التي نزل عندها
بحي (فوجيرار) أول عهده بباريس . لقد دخلت
عليه الخادم في الصباح تحمل صينية الفطور .
فوقع بصرها عليه في السرير ، لا يبدو منه إلا رأس
يطل من اللحاف الناصع كأنه رأس يوحنا المعمدان
على صينية الفضة . ولكن حاشا لله ان يكون هذا
معمدانا ! صاحب مثل هذا الرأس لا يمكن ان يكون
من الآدميين ! ذلك ولا ريب ما جال بخاطر الخادم
وهي تنظر إلى شعري الذي هب قائما إلى ما فوق
مسند السرير في شكل دائرة . كأنه هالة من (الهباب)

الأسود على حافة الوسادة البيضاء . اما الوجه فوق
الوسادة وتحت الهالة فلم تره لحسن الحظ . ومضت
الأيام . وإذا صاحبة البيت تقول لى ذات يوم باسمه
وقد زالت بيننا الكلفة : « اتدرى ما حدث فى
صباحك الأول لدينا ؟ لقد جاءتى الخادم تقول
مرتاعة : « اتدرين ياسيدتى من حل بدارنا ؟ .
فسألها : من ؟ فأجابت : C'est Le Diable إنه
الشیطان ... »

ولعلها صدقت . ولست ادرى ما ذكرنى الساعة
بهذه الحادثة التى كدت انساها . ولم يذكرنى بها حتى
خطابك الممتع الذى حدثتني فيه عن ذلك القسيس .
الذى ظن « توفيق الحكيم بملاسه السوداء »
الشیطان او المسيح الدجال . إذن ما جاء بخطابك لم
يكن محض خرافة ولا تأليف ! من يدري . لعلى

— ١٨٩ —

اخذت عن إبليس صورته وهيئته . لكن ... هل
تظن ان لى ايضا قلبه ؟ لا اظن . وبعد ...
فلتسكت الطبول ، وليفعل (البلياتشو) وجهه ،
فقد انتهى الفصل المضحك ! .. ؟

— ١٩٠ —

الاسكندرية لى . . .

عزيزى اندريه

هل حقا انت تفهمنى ؟ وهل تقدر ما انا فيه ؟
انها دائما حالة القلق والبحث والتنقيب عن الأسلوب .
لكن انتظر . ماذا اريد ان اقول ؟ هل لى الحق ان
اتكلم فى الأدب ؟ مع ذلك اتقطع شكا
وقلقا وبخشا يا صديقى اندريه ، لا عن اسلوب الأدب
وحده . بل عن اسلوب حياتى ... ؟

— ١٩١ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

ولنعد إلى ما جاء فى رسالتيك الأ خيرتين عن
غرقك فى بحر الكتب والمطالعات وخروجك مصابا
بجعى الشك والقلق . ينبغى ان ابادر فأقول لك ان
هذا القلق مرض دورى لكل رجل فكر . اين
كنت انت ايام اصابنى بهذا المرض الاصابة الأولى؟
لقد حدث لى بالضبط كل ماوصفت . فى ذلك الوقت
كنت انت فى مصنعك بعيدا عن المنطقة الجدية
العميقة من نفسى . وكنت انا فى حجرتى قريبا من
مسكن المأسوف عليه ايفان . لقد كان العامان

— ١٩٢ —

الأخيران من عهد باريس رازحين تحت اثقال هذا
المرض الموهن . لقد فتحت امامى المطالعات دنيوات
لا قبل لى بها وعوالم لا حدود لها وقد حدث ذلك
فجأة او على الأقل فى سرعة لم يتحملها ذهنى . فصار
مثلى مثل ذبابة اطلقت فى اجواز الفضاء الهائل وهى
التى ما هامت إلا فى جو الحجرة الضيقة وما عرفت
النور الا من خلال للنافذة الزجاجية المغلقة . على ان
هنالك فرقا بينى وبينك لا يجوز ان تنساه . فرق
جعل مرضى اثقل وطأة واشد فتكا . ذلك انى
كنت اعتبر شئون الأدب والفكر حرفة وغاية .
وكنت ادع المتصلين بى يفهمون عنى ذلك . وكنت
اعلن لا فقط حى لشؤون الفكر والأدب والفن
بل اشتغالى الكلى بها . اما انت فقد كنت تعمل
عملا حقيقيا ترتقى منه وتأخذه على سبيل الجد
وما كانت المطالعات عندك الا هواية . وما كان .

الاغراق في التأمل والتفكير والخيال الا موضوع
سخريتك ، على الأقل في أول عهدك . إلى أن
رضيت آخر الأمر أن تتفضل على هذه الأمور
نظرة تسامح . ذلك حالك وهو كما ترى ليس خطباً
إلى حد كبير . أما أنا فقد تقادم خطبي . لقد أضمت
وقتي كله في باريس منعنيا على مكتب الحجرة رقم
٤٨ بشارع بلبور . اقرأ وأقرأ حتى قرأت كل شيء .
لم أترك شيئاً في تاريخ النشاط الذهني لم أطلع
عليه . لقد غرقت في آداب الأمم كلها وفلسفاتها
وفنونها . لم أكن أسمع لنفسي بأن أجهل فرماً من
فروع المعرفة لأنني كنت أعتقد أن الأديب في
عصرنا الحاضر يجب أن يكون « موسوعياً » .
لذلك بذلت جهدي في أن أحيط بأبرز ما أنتجت
العبقرية الانسانية . حتى العلوم ، أردت أن ألم الماما
بأهم نتائجها . ففي الهندسة حاولت فهم هندسة نيومان

المعارضة لمهندسة اقليدوس التقليدية . والرياضة
أردت فهم مراميها العليا في مؤلفات الرياضى هنرى
بوانكاريه . والطبيعة والفلك بدأتها باسحق نيوتن حتى
بلغت نظرية اينشتين التى قرأت فيها وحدها نحو
خمسة كتب . وفى علم الحياة قرأت بعض
كتب داروين ولا مارك ... وفى علوم النفس بدأت
بكتب جورج توماس وارمان ريبو وانتهيت إلى
أكثر ما كتب عن نظريات فرويد . ولفتت نظرى
للعلوم التيوزوفية فقرأت كتب « آن يزانى وادوار
شوريه ورودولف شتينر » وخرجت منها إلى العلوم
الروحية فقرأت ابحاث اوليفر لودج ووليام باريت
وفلاماريون . حتى علوم الكهرباء حاولت فهم
ما أستطيع فهمه من نظريات فاراداي وتومسون
وويران ... الخ ... أما قراءتى فى القصص التمثيلية فهى
أعجب شئ فعلته . لقد قرأت كما أخبرتك ذات

مرة « المكتبة المسرحية » La Librairie Théâtrale
برمتها . فأنا كنت أرسلها من مصر قبل زواجي
إلى فرنسا . واعرف عنوانها في الجران بولفار .
وكانت هي أول حانوت دخلته إذ دخلت باريس .
فجعلت أختلف إليها أياما طويلة أطالع صفوف كتبها
صفا صفا .. وانطلق آخر النهار بما استطيع شراءه
مدارة لصاحب الحانوت . واعتاد الكتي رؤيتي
كل يوم على هذه الحال . . . إلى أن نظر ذات يوم
حوله فلم يجدني . فسأل في ذلك أحد عماله مستغربا ..
ثم حانت منه التفاتة إلى أعلى المحل فأبصرني في قمة
السلم لاصقا بالسقف التهم الكتب التي في الصف
العلوى الأخير ... أجل يا اندريه فعلت هذا وبعد ذلك
كله انكبيت أكتب وأكتب مخطوطات ...
كان مصيرها كلها التمزيق ، ان ما جعلتك تقرأه
منها يا اندريه لا يوازي جزءا من عشرة أجزاء مما

أخفيته عنك وانتهيت إلى تمزيقه قبل ان تطلع عليه
عين . ولعل ما قرأته انت هو انكب وأقبح
ما سودت به وجه ورق . انها سهول من الصعاري
والرمال تصور لنا سرايا بعيدا لن نبلفه أبدا . سهول
من الأساليب المختلفة كلها « السهل الممتنع » .
بحسب القارئ انه محيط بأسرارها واضع اليد على
مفاتيحها مستطيع أن يبلغ مبلغها لو أمعن في السير
والبحث والكتابة . فيسير ويسير متوهما في كل
خطوة انه يبصر « اسلوبه الخاص » المنشود يلمع
فوق تلك السهول . لكنه ما يبصر غير سراب .
ولشد ما توهمنا ان الاسلوب الخاص معناه التجديد
وان التجديد معناه الاغراب . وبهذا الوهم كتبت
حملات كنت أحسبها شعرا . ونزعت إلى الاغراب
خشية التقليد فاذا بي أقع دون ان اشعر في محاكاة
« الدادايزم » و « السورر بالزم » و « الكوبزم »

الأدبي . وإذا ما كنت أظنه استيعاء مبتكرا في
وضع الشعر على طريقة « بيكاسو » و « ماتيس » في
التصوير الحديث ، ليس إلا صدى باهتا لطريقة
« جان كوكتو » و « تزامات » « مارسيل شوب »
و « اتجاهات » « ماكس جاكوب » . وضعت في هذا
الأسلوب قطعاً كثيرة أهمها : (النفس) و (القبلة)
و (أبو الهول) الخ .. مزقتها طبعا قبل أن أفكر
في اطلاعك عليها . . . وغير ذلك كم من الفصول
التمثيلية كتبت ومزقت ! لقد كنت أظل أكتب
أحيانا تسع أو عشر ساعات في اليوم بلا انقطاع دون
أن أذكر الجوع أو أفطن إلى أوقات الطعام . ولقد
انفقت شهورا في وضع قصة تمثيلية قرأتها لصديقي
مسيو هاب وقد كان قبل الحرب ممثلا مهما كما تعلم
في أشهر مسارح باريس .. قرأتها معا في يوم
بأ كله بمحديقة اللوكسمبورج ، وكان مصيرها

« الالتقاء » في أول مرحاض عام بشارع مدسيس .
ذلك انى لم استطع صبرا على الانتظار حتى أعود إلى
مكئى فألقبها فى سلة المطبخ . ولكنى لم أقنط
مع كل ذلك . لقد استمرت الحى بعدئذ سنتين
كاملتين . قاسيت فيها كثيرا . لقد كان القلق
مستحوذا على إلى درجة مروعة . لآتى كنت أظن
فى الأدب مستقبلى لقد كنت أضن على نفسى
المتعبة بشىء من الراحة والاستجمام . لكم دعائى
زملائى الفلحون من دكارة الحقوق إلى السفر معهم
فى الصيف إلى شاطىء « أوستند » أو إلى جبال
(الفوج) أو إلى قرية على بحيرات سويسرا
استكشفوها . وكانوا يذهبون لنزهة الصيف
زرافات يضحكون ويلهون وكلهم فرح بالحياة مدرك
لقيمة الشباب . اما انا ففى باريس دائما . قد انحنى
ظهرى على مكئى بشارع بلبور ، أبحث وأبحث عن

ذلك السراب الذى يدعى «الأسلوب» . حتى الحب .
حتى (فينوس) ضحيتها من أجل (أبولون) . لقد
كنت أصالح (ايما) يوماً لأخاصمها شهراً . ولقد
كانت تشاء الظروف ان أقابلها فى المصعد وجهالوجه
وتسنع فرصة الصفاء واللقاء . ولكنى أقول فى
نفسى : علام الصلح وانا لم أزل مع الفن فى خصام
وأعود إلى أوراقى انكب عليها انكباً غير حافل
بغضب (إلهة الحب) معفراً جبينى عند أقدام (إله
الشعر والفن) . وإذا بهذا الاله القاسى يهزأ فى النهاية
بتعبى وكدى ويسم لى قاتلاً بلسان مسيو هاب :
(نعم . نعم .. لديك موهبة الحوار .. لكن ...)
فيلقى بهذه الكلمة الصغيرة جرثومة الشك فى أعماق
نفسى . فانهال على عملى تمزيقاً لا بدأ عملاً آخر فى
كد ونشاط قاتلين . ويأتى الشتاء دون ان اشعر
ويسافر اصدقاؤى الى التمتع بالشمس فى (نيس) و

— ٢٠٠ —

(جراس) . وأنا أنا على عهدى أرفض الذهاب معهم
لألقى بنفسى من جديد فى أتون تلك الحى المستمرة .
ولا اكاد افيق الا على صوت غناء (ايمان) يصعد الى
من نافنتها بالطابق السفلى . ولكن ... أين لى راحة
الضمير : أين لى ذلك الاطمئنان الى آخرة طريقى
الوعر المغلف بالضباب : أين لى ثقتى بنفسى وعملى
أين لى الأمل ببعض النجاح . أين لى القليل من
الرجاء يلطف من ذلك القلق الذى يحرمنى التمتع بالحياة
والشباب وباريس . ما كان شىء يؤلمنى ويطعن قلبى
مثل سماع تلك الأغنية الباريسية الشعبية التى مطلعها :

Si vous voulez l'amour n'attendez pas huit jours

(إذا كنت تريد للغرام فلا تنتظر ثمانية أيام)
وأنا لا أنتظر ثمانية أيام فقط . انما أنتظر الأبد .
أنتظر السراب الذى لن يأتى . أنتظر الوصول الى
مفتاح حياتى وسر غدى . بل انتظر على الأقل

— ٢٠١ —

علامة واحدة تدلني على أن ما أنفق من وقت وجهد
والم في البحث لم يضع عبثا ...

لقد كان مسيو هاب يعيب على شيئا واحدا :
كتابتي بالفرنسية مباشرة . ولكن ذلك لم يفت في
عضدي ووضعت هذا القول وأمثاله في جميع الممرّة
من جديد . . . فاندفعت أعمل سنة كاملة أخرى
كتبت في نهايتها صفحات تقرب من الخمسمائة لم
أطلعك عليها . ولكن بعض الأصدقاء حملوها إلى
ناقد فرنسي معروف ، لم يرني ولم يعرفني . يستطيع
ان يصدقني الرأي . فأبدى رأيه في خطاب طويل ،
فيه تحليل دقيق ، ختمه بالعبارة المعهودة :
أفكار كثيرة وموهبة في الحوار . لكن ...

beaucoup d'idées le don du dialogue, mais ...

آه لهذه (mais) ! .. آه لهذه (لكن) اقلنتني
هذه ! mais ! لعلها مزقت وقتي وجهدي ...

— ٢٠٢ —

وقلبي ! ... وشعرت انى سجين هذه *mais* أفطع
مما سجين بها ملك روما فى قصة «ادمون رويستان» ..
ومزقت تلك الصفحات أيضا . ان اعتراضات الجميع
لا تتغير : (لماذا تحاول أن تتكلف الأسلوب تكلفاً ؟)
انه لا يفوح من اسلوبك الفرنسى أى عطر شخصى
أأخذ ... انما هى عبارات محفوظة فى كتب البلاغة
تحسب انها اسلوب رائع !) ... حقاً ... ان احتفالى
بأمر الأسلوب قد أوقعنى فى التقليد ... آه لكلمة
اسلوب : ولكلمة *formule* . لقد بدأت أبصر
وقتئذ ... لقد تبين لى بعد طول الجرى والجهد ان
الأسلوب أحيانا حجة الكاتب الذى لا يجد ما يقول .
ان الذى عنده ما يقول للناس يخرج بكل بساطة
مالديه من كنوز ... لا يحفل بأسلوب التقديم
وتكلف الوضع المسرحى فى الاعطاء الا ذلك الذى
يعطى شيئاً نافهما . ما الأسلوب إلا تلك الآلة

الصناعية التي نتوصل بها للوصول إلى الحقيقة .
ولكن ما أروع الحقيقة لو تفجرت وحدها من أعماق
القلب الصادق في كلمات بسيطة .. لهذا كان الأسلوب
أحيانا كل أدب أولئك الذين لا يحملون في جعبتهم
ما ينفع الناس ... ولقد لحظت انت يا اندريه بحق
ان كتابا مثل كتاب (السحر الاسود) لبول موران
هو مجرد اسلوب . وان كتابا مثل كتاب « قافلة
بغير ابل » لرولان دورجليس ليس سوى اسلوب .
هذا المصرا لا آلى يلجأ أحيانا إلى آلة الأسلوب كلما
اعوزته روح الحقائق الانسانية التي أبرزها الأدب
القديم . الأسلوب هو المظهر الخادع الذي يخفى به
كتاب اليوم جهلهم المطبق بروح الشعوب التي
يزعمون النفوذ إلى صميمها في مدى رحلة شهرين
بالقطار والباخرة ، انهم يستعوضون بفن (الديكور)
الكلامى والريورتاج السريع واللون المحلى السطحي

عن الحقائق التي لا يحسها إلا أهلها . ان ما يطلبه الغرب وما يطلبه الشرق أشياء غير ذلك . اقرأ مقالات لويس برتران عن اسبانيا . . انه قد أدرك كل هذا . فهو يتهم كتاب فرنسا المعاصرين بأنهم لاهتمامهم باللون السطحي وحده قضوا على اسبانيا أن تظل مجهولة إلى الأبد لعين فرنسا . وأنا أزيد عليه ان كتاب اسبانيا أيضا من أمثال بلاسكو ايبانيز ساهموا في هذا التضليل . لقد قيل ان هذا الكاتب الاسباني المشهور كان ذا وجهين : وجه يتجه إلى وطنه ينشئ له أعمالا هي وحدها ذات القيمة الحقيقية . ووجه يتجه إلى أوروبا فينشئ لها أعمالا دولية . واوروبالأسف لاتعرف إلا هذا الجانب المصنوع لها صنعا . إذا كان هذا قد قيل عن اسبانيا فاذا يقال عن مصر والشرق ؟ إن مهمة كاتب مصري او شرقي لأشق وأعسروا أكبر من ذلك كله ! ولكن لا بد من جهادنا

— ٢٠٥ —

حتى في بلادنا أيضا . فان الأسلوب السليم لم يزل في عرفنا مرادف اللغة المتصنعة المنمقة . وقليل من فطن إلى أن الأسلوب هو روح وشخصية . لقد كان مسيو « هاب » يدعوني إلى ترك الكتابة بالفرنسية لا لأني لا أحسنها . على النقيض . لأنه رآني أتكلفها وأنمقها وأستخدم تراكيب موضوعة وبلاغة محفوظة مما حبس روحي وسجن شخصيتي في اغلال من الكذب والتصنع . لقد أصاب الحقيقة . لا يخلق الأسلوب الحق إلا الكاتب الصادق في شعوره وتفكيره إلى حد ينسيه أنه ينشئ أسلوبا البلاغة الحقيقية هي الفكرة النبيلة في الثوب البسيط . هي التواضع في الزى والتسامى في الفكر . كذلك كان أسلوب الأنبياء في حياتهم : انظر إلى محمد وعيسى على الخصوص : بساطة في اللبس وتواضع في المظهر

— ٢٠٦ —

وسمو في الشفور والتفكير ...

انى يا اندريه مهتم كل الاهتمام بالتفاتك الحاضر
إلى الأدب . وانت بحبك وشكك وقلقك لما
يدنيك إلى نفسى . فرحياً بك . امض فيما انت فيه .
ولا تخش هذا « المرض الضرورى » . بل يجب أن
لا تشفى منه سريعاً . حبذا لو اتصلت بك وبما تقرأ
أكثر من ذلك . ولو أنى أتبع اليوم « نظاماً
صحيحاً » régime sec أى عدم المطالعة فى الأدب
اطلاقاً . قراءتى الآن قليلة . وفى أشياء أخرى غير
الأدب ، مثل تقارير عصبة الأمم ، وسياسة أوروبا
الاقتصادية بعد الحرب ... الخ

لحنية - أصبح الأمل ضئيلاً فى أمر تعيينى
النهائى بالقضاء المختلط . فأتى بعد أن ألحقت بِنِيبات

— ٢٠٧ —

الاسكندرية تحت التمرين توطئة للتعين ، ولبثت
أعمل تلك الشهور الطوال ، عينوا في كل وظيفة
تخلو أشخاصا غيرى وتركوني في القاع كـثالة
الكأس ... ؟

— ٢٠٨ —

الإسكندرية في . . .

عزري اندريه

أحقيمة ان امرأة تستطيع أن تميل إلى ... ؟
آه أيها الماكر ... لقد كشفت حيلتك : تريد أن
توهمني ان « الجميلة » ساقية المطعم الالزاسي تحمل لي
أجل الذكرى اكلا . انك تعاملني دائما كما يعامل
طبيب مريضا . وهذه الفكرة وحدها كفيلة ان
تجعلني لا أصدق ما تقول . تذكر لي انك دعوتها
إلى العشاء . وتخشى غضبي لا يا سيدي . إني لم
أغضب على النقيض . لقد سرني ذلك . انها
كانت عندي شيئا جميلا حقا . شيء جميل لم أجزؤ

— ٢٠٩ —

على مسه بأناملى . حتى لاينهار أُملى فيه . ليت الأمر
اقتصر على الحب يا اندريه . كل شئ ينهار بلسة من
يدى . . . كأنما أبى الآمال من الرمال . لقد مضى
أكثر من عام وأنا فى الاسكندرية . لقد تغيرت
كثيرا . وتنازلت عن أغلب أفكارى وآمالى . لقد
أرغمتنى الحياة على المصانعة فى أمور كثيرة . لقد
نبذت فكرة القضاء المختلط واتجهت شطر القضاء
الأهلى .. إني الآن فى انتظار أى قضاء ؟ ان الحياة
لتقهرنى قهراً على قبول مالا أريد ... إني منذ التعاق
بالنيابة المختلطة تلك الشهور ، وانا أختلط بطوائف
من الموظفين وبألوان من الناس ما كنت أحسب انى
أستطيع الحياة بينهم يوما . وحتى مطالعنى الآن
أكثرها - عدا ما يتعلق منها بعملى الرسمى - يمنع
إلى الدراسات الجافة والمسائل الاقتصادية . ومع ذلك
فانى أشعر دائماً أن فى نفسى منطقة رفيعة منيعة

— ٢١٠ —

لا يصل إليها أحد . فاني ما أكاد أختتم أعمال النهار...
حتى آوى إلى حجرتي أصنى إلى اسطوانة « عصفور
النار » لسترافنسكى . لقد أخطأت يا اندريه كما
أخطأت أنا من قبل إذ نظن حياة العمل والواقع
قديرة على انتزاع حب الجمال من أنفسنا : واأسفاه !
ان كل ما كسبته نفسى من اتصالها بالفن الحق كان
حقيقيا خالصا لا زيف فيه .

إني أعيش فى الظاهر كما يعيش الناس فى هذه
البلاد . اما فى الباطن فما زالت لى آلهتى وعقائدى
ومثلى العليا . كل آلامى مرجعها هذا التناقض بين
حياتى الظاهرة وحياتى الباطنة .

إنى أصر على مراسلتك هذا الاصرار لأنك
الوحيد الذى يعمر هذه الحياة الثانية . انها صحراء
اصيح فى ارجائها وأنت وحدك الذى يسمع رجوع
الصدى . آه انك لن تقدر آلام من يعيش فى غير

عصره . فأنت أوروبى يعيش فى أوروبا . إنك لم ترزأ
بعد بالحياة بين ناس لا يتصل إحساسهم الفنى بإحساسك
لقد كان مجرد حضورى فى قاعة كونسير « بلييل »
او « كولون » يجعل بينى وبين كل فرد حاضر فرنسى
او روسى او ألمانى صلة تكاد تكون صلة المواطن
بالمواطن . لقد كانت أيدىنا تنطلق بالتصفيق لى
دخول موسيقى مثل « فورتفانجلر » فى شبه حركة
واحدة . كأن مرأى كز الإحساس فىنا جميعا متصلة
بسلك واحد . لقد كنا فى وطن ثقافى واحد . لقد
كانت تظلنا انا والفرنسى والروسى والألمانى والمجرى
والإنجليزى سماء واحدة هى سماء الحضارة فى هذا
القرن . من أجل ذلك كنت اطالع كل ما كتبت
عن عصبة الأمم وكلى أمل : وما قيل عن « الدولية »
واتجاهاتها الانسانية وكلى رجاء . ثم إنى فوق ذلك
وبعد ذلك كنت أعيش . أعيش الحياتين بمثل حياة

واحدة . إذ لم تكن بي حاجة إلى حياة ظاهرة وحياة باطنة . قد تسألني أليس في مصر طبقة من المستنيرين؟ نعم في مصر بيئة مستنيرة فيها كثيرون عاشوا في أوروبا وعرفوا الثقافة الأوروبية . وفيهم من يعرف الفن الأوروبي ويتكلم عن المصورين والتصوير ومن يتكلم حتى عن برامس وباخ وهاندل . ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من عرف أن الثقافة الحقيقية شيء والكلام فيها شيء آخر . وقليل من بين هؤلاء من أدرك أن الثقافة العقلية ، حدها ليست كل الثقافة . وأن الثقافة الكاملة شيء أوسع من ذلك بكثير . أن أكثر هؤلاء المتكلمين في الموسيقى والتصوير والفنون يعرفونها برؤوسهم ولا يدركونها بحواسهم . أن المطلوب للثقافة ليس مجرد المعرفة بل الاحساس والتذوق والتغذى بمختلف الفنون . ما قيمة الكلام عن يتهوفن إذا كانت أعماله لا نهز نفسك

- ٢١٣ -

هزاً . وما معنى الحديث في رافاييل او مملنج او
روبانس او بوتيتشيللى إذا كانت صورهم لا تعمر
رؤوسنا ليل نهار وتحدث الوانهم واصباغهم في
نفوسنا الاحداث . الثقافة ليست كلاماً غلاماً به
الرؤوس ولكنها بقطة الملكات كلها والحواس . إذا
سامت بقولى هذا فلا أبالغ إذا قلت لك ان ليس في
مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين ... ما

الاسكتريية لى . . . :

عزيرى اندريه

إنى الآن غارق فى الأءب العربى . أريد ان
اىرس قضيته من أساسها . اريد ان أعيد النظر
فى أمر اللغة العربية - لفى - واكشف اسرارها
وأضع اصبعى على مواطن ضعفها وقوتها . هذا الوقت
هو خير وقت أستطيع فيه ان ارى وأميز وأحسن
الحكم . فلى عينان قد طاقتا - منذ أمد ليس بالبعيد -
بمختلف الآءاب العالية . ولقد نجحت فكرتى حقا .
انى اقرأ نصوص هذا الاءب فى عصوره المتعاقبة
بعين جديدة . عين عامرة بالصور . حافلة بالمقارنات

— ٢١٥ —

وبنفس رحيمة عادلة صابرة ؛ تلتمس العلل والاسباب
وتطيل التريث والبحث قبل ان تصدر الأحكام .
قبل كل شيء احب ان اقول لك ان اولئك الذين
علمونا اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية
كانوا يجهلون لا معنى اللغة العربية وحدها بل
معنى اللغة على الاطلاق . إنك لن تجد مستنيرا في
مصر لا يقول لك ان اللغة العربية — للأسف —
قاصرة عن التعبير في شتى ضروب العلوم والفلسفة
والتفكير العالى . بل منهم من يقول انها ليست لغة
تفكير . انما هي لغة بهرج وتنميق . لماذا ؟ السبب
بسيط : هو ان النماذج التي وضعت في ايدينا ونحن
صغار للبلاغة في اللغة العربية كانت كتبا غثة المعنى
متكلفة المبنى . لو كتب بها شخص اليوم لاثار سفرية
الناس . نعم . . . انهم يعلموننا في المدرسة لغة إذا
استعملناها في الحياة ضحك منا الناس ! منذا يستطيع

— ٢١٦ —

بعد انتهاء دراسته ان يكتب رسالة على نمط « عبد
الحميد الكاتب » او مقالا او بحثا او تقريرا على طريقة
« الحريري » دون ان يتعرض لسخرية الساخرين ؟ !
ليس من اليسير ان اطلعك او اترجم لك مثل هذا
الأسلوب « النموذجي » ! ولكنى اقول لك انه
اسلوب يستخدم اللغة استخدام الجوارى للعود في
مجالس الانس والسكر بقصور هارون الرشيد .
اسلوب غايته قبل كل شيء ان يهر السمع النائم
ويطرب الأذن المسترخية . لست ادري أيجوز ان
تجمل لغة من اللغات وسيلة لهُو واداء براعة
كفنون المغنين وألعاب الحواة ! ام ان اللغة اداة
يسيرة لنقل الأفكار النبيلة ؟ ! انى افهم ان يضرب
مثل هذا الأسلوب مثلا للضعف والسقم لا للسلامة
والبلاغة . فان التكلف ابرز عيوب الفن . كان « جويو »
يقول ان الرشاقة في فن الرقص هي اداء الحركة

الجمانية المسيرة دون تكلف يشعر كما بذل فيها من
مجهود . تلك اولى خصائص الاسلوب السليم في كل
فن . حتى الحاوى الماهر هو ذلك الذى يخفى عن
الاعين مهارته ويحدث الاُحاجيب فى جو من البساطة
والبراءة . لعل الكاتب الوحيد الذى ضربوه للطلاب
مثلا فصدقوا هو « ابن المقفع » فى ترجمته لسكيلة
ودمنة . هذا كاتب تصنع فى اسلوبه هو الآخر
ولكن بخفة ومهارة ، وطلاء وجهه ولكن بدق
وكياسة . فلم يبد عليه سماجة التكلف ولا ثقل الصناعة .
انه ذلك الحاوى البارع ... او تلك الحسناء الذكية
التي تطلّى وجهها بالاصباغ ثم تمسح أثرها الصارخ ،
فتظهر وكأن نضارتها نضارة الأصل والفطرة . ان
« ابن المقفع » يجهد فى اسلوبه ليخفى أثر الجهد انه
تلك الراقصة الرائعة التي تخفى حركاتها العسيرة فلا
تبدو لنا منها إلا تموجات رشقة لسيرة . هذا الكاتب

هو على كل حال مثل طيب للصناعة في الكتابة .
على انك إذا أردت أن تعرف حقا جلال اللغة العربية
في بساطتها وسيرها قدما نحو الغرض : فاقراها عند
الفلاسفة والمؤرخين العرب . اولئك عندهم حقيقة
ما يقولون . فهم لا يضيعون أوقاتهم واولئنا في العبث
اللفظي والطلاء السطحي ، إنما هم يتحدثوننا في شئون
فكرية واجتماعية واخلاقية ودينية في لغة سهلة مستقيمة
لا لعب فيها ولا لهو ولا ادعاء . اني لأدهش كيف
ان مؤلفين مثل ابن خلدون والطبري وابن رشد
والغزالي لم يعرضوا علينا قط في دراساتهم للأدب
العربي بالمدارس ؟ كيف نعرف لغة بدون أن نطالع
فلاسفتها ومؤرخيها ؟ أنستطيع معرفه الفكر اللاتيني
دون ان نقرأ سنيكا ومارك اوريل وتيتوس ليفيوس
وكورنيليوس تاسيت ؟ ! لو انه عرضت علينا صفحة
واحدة مع شرحها لكل فيلسوف بارز ومؤرخ مشهور

من فلاسفة العرب ومؤرخيهم لتغير رأى أكثر
المستنيرين عندنا في اللغة العربية وقدرتها على التعبير
عن أدق الأفكار وأعلاها وأعمقها وأنبها . . . وليس
بهذه اللغة نقل ابن رشد وابن سينا أعمق آراء فلاسفة
الغرب إلى أوروبا المتعطشة للمعرفة ؟ انتم معشر
الفرنسيين فعلتم ذلك في تدريس الأدب الفرنسي ..
ما من كتاب مدرسي صغرا وكبرا لا يذكر فيه
نماذج من أسلوب « مونتاني » الفلسفي واسلوب
« روسو » الاجتماعي و « بوسويه » الديني و « فولتير »
التاريخي ... بل حتى أسلوب « موليير » الفكاهي أحيانا
إلى حد الهريج .. ذلك ان المدارس الفرنسية ادركت
ان تدريس اللغة يجب ان يشمل كل نواحي التعبير
بها ... اما قصر تعليمها على نماذج البلاغة اللفظية
الجوفاء فهو امتهان لكرامة اللغة وانتقاص من قدرتها
على الأداء . في العربية كاتب متعدد النواحي له

باع طويل في الجدل والمهزل هو « الجاحظ » . هذا
ايضا لم نقرأ له سطرأ في المدارس... كل كاتب عربي
بسيط الأسلوب نافع لنا في الحياة يقصونه عنا قصاء
بحجة انه غير بليغ... ويأتون إلينا بالكاتب الذي لا ينفع
في حياتنا إلا نموذجاً لاثارة السخرية!... حتى الشعر وهو
مفخرة اللغة العربية . الشعر الذي كان يجب ان ترى
فيه نفوسنا المتفتحة أول لون من ألوان الفن... ماذا
انتخبوا لنا منه ؟ قصائد المواعظ والحكم ! .. هنالك
حقا نوع من الموعظة والحكمة يعرف الشاعر الحق كيف
يلبسها ثوبا من الصور الحسية والذهنية ترفعها إلى مرتبة
الفن العالي ... (كما فعل أبو العلاء والمتنبي والنافعة
الذياني في بعض قصائدهم) ولكن الفرز والتمييز
والتخير في هذا الباب يحتاج إلى حاسة فنية لا يملكها
القائمون بهذا العمل . حتى الشعر الموسيقي والشعر
التصويري الذي عرضوا علينا بعض نماذجه (في أعمال

البعثرى وابن الرومى على الأخصر) لم يكن من خير
آثارها ... ليس كل شعر فنا عاليا لأنه يعظأ ويصور
أو يرسم ... فالشعر الحق هو شىء أبعد كثيرا من
مجرد اصابة الأهداف الظاهرة أو تحقيق الأغراض
المباشرة . بل ربما انحط شعر فى عرف الفن العالى
لأنه اقتصر على صياغة حكمة أو تصوير منظر أو
احداث جرس .. انما الشعر الحق قد يتوسل بهذه
الأشياء لبلوغ مأرب اسمى : هو الارتفاع بالناس
إلى سحَب لا تبلغ ، والرحيل بهم إلى عوالم لا تنظر .
هو أن يريهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية
أشياء لم تكن بادية ولا طافية فى محيط ضمائرهم
الواعية . هو بالاختصار ذلك السحر الذى يوسع ذاتية
الناس فيرون أبعد مما ترى عيونهم ويسمعون أكثر
مما تسمع آذانهم ويعمون أعمق مما تمى عقولهم... هذا هو
الشعر وهذا هو المقصود من كلمة « الشعر » فى

— ٢٢٢ —

اطلاقها على كافة الفنون . ما من فن عظيم بغير شعر .
أى بغير تلك المادة السحرية التى تجعل الناس يدركون
بالأثر الفنى مالا يدركون بحواسهم وملكاتهم ...
لقد أثقلت عليك يا اندريه بهذا الحديث فى
موضوع لا يعنيك كثيرا . ولكن من غيرك ابته
كل خواطرى .. ؟ تحمل ... ؟

— ٢٢٣ —

الاسكندرية في . . .

عزيرى اندريه

إمعانى فى بحوث الأدب العربى اليوم يجعلنى
غير صالح للحديث فى شىء آخر . ولقد فرغت من
مسألة اللغة فاذا مشكلة أخرى تقوم أمامى . هى ان
الأدب العربى ذاته من حيث هو خلق فنى يبدو لى
ناقص التكوين . والسبب فى ذلك بسيط أيضا :
إذا تأملت الآداب القديمة كلها وجدت أنها قد
حاصرتها فنون كبرى . خذ مثلا مصر القديمة والهند
والاغريق والرومان الخ ... لقد كانت المعابد العظيمة
والتماثيل الرائعة خليفة أن يعاصرها أدب يضارعها

في قوة البناء ودقة التركيب وروعة الفن . (الملاحم
والتمثيل والقصص) . ولكن الذي حدث في تاريخ
الأدب العربي كان غير ذلك . لقد نشأت لغة نضرة
زاهرة في بيئة فحلاء وسط الصحراء . لقد كان
أقصى ما عاصر لغة امرؤ القيس أو لبيد أو زهير
من مظاهر الفنون الأخرى تلك المسوخ والتهاويل
لآلهة من الحجر . أطلقوا عليها الهبل الكبير
والهبل الصغير والعزى واللاتي الخ .. لا أحسب
أحدا يجرؤ أن ينسبها إلى الفن في قليل أو كثير .
إنه حقاً لمن مفاخر اللغة العربية أن تبرز وحدها هذا
البروز بين الرمال كأنها عرار أو أقحوان . ولعل
الفضل في ذلك للشعر . فالشعر زهر قد ينبت في
الخلاء . أما النثر فيحتاج في نموه إلى العمران . لكن
جاء العمران بعد ذلك بظهور الاسلام وتكونت
حضارة اسلامية واسعة الأرجاء . فأقيمت المساجد

الجميلة على انقراض الهياكل القديمة . وشيدت القصور
وملئت بالبدايع والطرائف . وتقدمت الصنائع
وازدهرت الفنون . وابتلعت المدنية الاسلامية في
جوفها كثيرا من المدينيات . ومع ذلك فان الأدب
العربي لم يحاول أن يزيد في قوالب ثره ، أو أن يسير
تلك الفنون المعاصرة ، حتى بدا للأجيال اللاحقة في
ذلك الفقر الظاهر . والواقع ان الأدب العربي
الانشائي لا يختال للأنتظار إلا في ثوبين معروفين
« الرسائل » و « المقامات » . والمقامات أعمال قصصية
قصد بها سرد حكاية وتصوير أشخاص . ولكن
الاغراق في الوشى اللفظي والاحتقال بالوضع اللغوي
صرف هم الكاتب عن التعمق في التحليل والافاضة
في السرد والاجادة في البناء . فالأدب العربي الانشائي
قد عني باللفظ أكثر مما يجب ولم يشأ أن ينزل عن
تكلفه الذي يعتبره فصاحة وبلاغة ، ليصور ما يحيش

في نفس الشعب من احساس ولا ما يهيجه من خيال .
وهنا حدث أمر عجيب . ان روح الشعب لا يقهر .
هذا الشعب في عصور الحضارة الاسلامية المختلفة
قد تعطش للون جديد من الأدب غير لون البداوة
الأولى . لون من الأدب مستمد من احساسه هو
بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة ... أدب جديد قائم
على فن مشابه ومسائر للفنون الزاهرة المعاصرة ، التي
يراها بعينه ويهيم في مرامها بخياله . . . فلما لم يشأ
أدباء القصص أن يمدوا الناس بحاجتهم ، لجأ الناس
إلى أدباء من بينهم لا يملكون أداة اللغة ولا جمال
الشكل ولكن يملكون السليقة الفنية وروح
الخلق . . . وهنا ظهر الأدب الشعبي . . . فما ظهور
الادب الشعبي أحيانا إلا علامة قصور أو تقصير من
الأدب الرسمي . او صرخة احتجاج على جمود
الفصحاء ... هكذا ظهر القصص الشعبي في صورة

عنترة ومجنون ليلى وكثير عزة ... الخ ... وسارت الحضارة الاسلامية فسار معها الأدب الخيالى الاجتماعى الشعبى فاذا نحن أمام عمل فنى رائع هو « الف ليلة وليلة ». ثم نبت فى كل شعب من شعوب الاسلام قصصه الذى يطبعه بطابع عصره . فكان فى مصر قصة « أبى زيد الهلالي » و « سيف بن ذى يزن » و « الظاهر بيبرس » الخ ... ومن الغريب انك إذا تأملت « التصميم » الفنى والبناء الروائى لهذا الأدب الشعبى وجدته من حيث الفن لا اللغة هو السائر فى الطريق الصحيح محاديا تلك الفنون الجديدة التى قامت بقيام الحضارة الجديدة . فلقد كان من المستغرب حقاً للباحث أن يرى حضارة اسلامية عظيمة ذات فنون زاهرة وعلوم راقية ولا يجد فى أدبها أثراً انشائياً مثل « الشاهنامه » أو « الرامايانة » أو « الالياذة » أو « كليلة » ودمنة » الخ .. حتى كادت تهيم العقلية

الاسلامية بمقامها . ولكن الأدب الشعبي الاسلامي
صحح الوضع أمام التاريخ العلمى . واثبت ان الحضارة
الاسلامية سارت في مجراها الطبيعي . مع هذا الفارق :
وهو انه في الحضارات الأخرى الهندية أو الفارسية
أو الاغريقية كان خاصة الشعراء والأدباء هم الخالقين
لتلك الآثار . اما في حضارة الاسلام فقد تخلى الخاصة
عن بعض هذه المهمة لعامة أدباء الشعب وشعرائه
ووقفوا بعيدين عن كل تغيير أو ابتكار ... حتى القرآن
ما حاولوا أن ينتفعوا به انتفاعاً فنياً . لقد أتى القرآن
بجديد في فن الكتابة : لا اللغة وحدها ... بل القصص .
لقد استخدم الفن القصصى في التعبير عن المرامي
الدينية السامية . ولكن المدهش ان الأدب العربي لم
ير في القرآن إلا نموذجاً لغوياً .. ولم ير فيه النموذج
الفنى ... فلم يخطر له استلهاهم قصصه أو الاسترشاد
بها أو استغلالها استغلالاً فنياً مستفيضا ... ان وحي

الأدب العربي لم ير.. أن يتحرك... لا إلى أعلى ولا إلى أسفل... لا نحو القرآن ولا نحو الشعب... من الانصاف أن أستثنى واحدا هو «الجاحظ». ان هذا الكاتب شعر فيما يبدو لي بالغلطة . فسلك مسلكا آخر... ونزل إلى الشعب يستوحيه . ويصور أسواقه وبخلاءه ولصوصه وتجاره وشرقاؤه وخبثاءه... في أسلوب بسيط حتى يعد مثالا طيبا للنثر التصويرى في عصور الحضارة والعمران... وهو بعينه الأسلوب الذى أثار على الجاحظ المسكين نقد المتنطعين من أدباء عصره فرموه بالعامية والركاكة والابتذال... وأريد ان أستثنى أيضا بعض الجانب الفنى لمقامات بديع الزمان : فهو من حيث رسم أشخاصه وتصوير المجتمع فى عصره يكاد يعطينا أحيانا صورة ناطقة على صفرها... تذكري بصور «المنياتور» الفارسى . ولم يفسد هذا الأثر الفنى إلا أسلوبه اللغوى . فلوانه

وضع بلغة الجاحظ في بخلائه لكان أدنى إلى السكال .
ولكن هذا الأثر لم يكتب فيما يظهر إلا لأبراز
رصانه اللغة و ثراء اللفظ وبراعة السجع . أما الفن فلم
يخطر للكاتب على بال ... الواقع أن تباهى أدباء العربية
بالثروة اللفظية والمهارة اللغوية كاد يقتل النثر العربي
نفسه ، فلم ينقذ من هذا المصير ، كما قلت لك ،
غير طائفة الفلاسفة وفقهاء الدين والمؤرخين ومن
شابههم من الباحثين الجادين . وإن مؤرخى الأدب
أو رواة على الخصوص كان لهم أعظم الفضل في تيسير
اللغة العربية والباسها حلة نضرة دون التجاء إلى التصنع
الممجوج : « الأغاني » و « العقد الفريد » و « نهاية
الأرب » و « الأملى » و « النوادر » و « البيان
والتبيين » الخ ... على أننا بعد ذلك إذا طرحنا جانباً
أعمال مؤرخى الأدب ورواة أخباره . على أهميتها
وسلاسة لغتها ، وأردنا أن نبعث عن فن أدبى يعد

في ذاته خلقا انشائيا فنياً لما وجدنا شيئاً يضارع الأدب الشعبي في : الف ليلة وليلة وعنترة ومجنون ليلى وأبي زيد الهلالي الخ . فهذه الآثار على الرغم من انعدام الروعة اللغوية فيها وضياع الجانب الشكلي اللفظي قد استطاعت أن تؤثر بمجرد فنها . ذلك ان القوة الخالقة في روح الشعب لم تضل لحظة عن طريقها إلى الخلق الفنى . ومع ذلك فقد ظل الأدب الشعبي حتى اليوم غير معترف به في تاريخ الأدب العربى . بل ان أثراً خالداً مثل « الف ليلة » اعترفت به اليوم كل أمم العالم ... ونقلت قصصه إلى كل لغة ووضعت في كل يد ... حتى أيدي الأطفال ... (تذكرت الآن ان ولدك الصغير جاتو أدهشنى يوم قابلته أول مرة فى كوربغوا فقص على اقصوصة علاء الدين والمصباح على نحو آثار عجيب) هذا الأثر الفنى المشرف لم يعترف به أديب عربى اعترافاً صريحاً . لقد انطوت قرون

— ٢٣٢ —

وما يزال هذا السد قائماً كأنه سد الصين بين النهر
العربي بسجعه وبلاغته المصطنعة وبين خيال الشعب
ورغباته وآماله .. لو أن أدباء اللغة الفصحى هدموا
هذا السد من قديم ونزلوا عن بعض جمودهم وسأروا
تقدم الفنون في زمانهم وعبروا عن مطالب عصرهم
وشعبهم لكأن الأدب العربي اليوم في مقدمة
الآداب العالمية . فليس الروس هم أساتذة القصة
ولا الإنجليز ولا الفرنسيون ... بل نحن بما لدينا من
قرآن عرف القصص . وما خلقنا في مجتمعاتنا من
أشياء عنبرة وألف ليلة وليلة وما وضعنا في لغتنا من
مقامات تعد أساساً لفن الأقصوصة لأحق من يزعم
بأننا أساتذة هذا الفن الروائي .. لكن وا أسفاه ...
هم أولئك الجامدون الذين وقفوا حيث هم وتركوا
لغيرهم تلك الكنوز يتعرفون منها ويربون عليها .
ان هذا الذي أسميه سدا بين الجامدين والمجددين ..

-- ٢٣٣ --

أو هذا السدين الأموات والأحياء كان دائما موجودا
في تاريخ كل لغة... ألا تذكر « دانتى » وكيف
حطم هذا السديوم أصر على أن يكتب « الكوميديا
الالهية » لا باللاتينية لغة العلماء في عصره بل
بالإيطالية لغة الناس في زمانه.. و « مسترال » يوم
وضع ملحمة الشعرية الرائعة « ميراي » بلغة الريف
الفرنسي، وهي لغة لم أستطع فهمها مما أُلجأتني إلى قراءة
ملحمته في ترجمتها الفرنسية المصرية . ومع ذلك لم
تحل لغة الريف دون تسمي ذلك الشاعر قمة المجد
واعتباره من أكبر شعراء فرنسا والعالم ، لأن اللغة
لم تكن يوما حائلا في أوروبا دون تقدير الأثر الفني
في ذاته . أما عندنا فهي حائل دون مجرد الاقتراب
منه... كأنما هو شيء مضرر بمقام فضلاء الأدباء . لهذا
لم نجد أدبيا عربيا جرؤ على النظر في آثارنا الشعبية
الرائعة من حيث هي فن وخلق طارحا مسألة لغتها

جانبا متفاضيا عما في هذه اللغة من اسفاف وقصور
وعدم كفاية . لقد رضى الفضلاء أن ينظروا في تاريخ
الجبرتي وهو تقريبا باللغة العامية . ولم يرضوا أن ينظروا
في الف ليلة وليلة وهو اسلم لغة في نظري من كتاب
الجبرتي . لكن السبب عندهم : أن ذلك تاريخ وهذا
أدب . والأدب في عرفهم مرادف اللغة .. فاللغة .. اللغة
هي لدينا شبح الأدياء الخيف . نحن عبيد ذلك الميراث
من الألفاظ والعبارات والتراكيب التي وجدناها
داخل صناديق المعاجم العتيقة وكتب اللغة القديمة ..
انا ننظر فيها بحرص خشية أن ينفذ اليها نور هذا
العصر أو نسيم هذا الزمن فيعيب بنسيج عنكبوتها
المقدس ! يا شبح القدماء المروع ! . يا لشبح الأموات
الذي يرهب كل من يعتبر اللغة كائنات حيا يتغير ويتطور ،
وكل من يحاول التصرف فيها طبقا لمطالب العصر
وروح الزمن .. ان اعتصام الموتى ومن معهم خلف

ذلك السد المهائل الذى يقصيه عن عالم الأحياء
بترعاته الجديدة وأذواقه الخاصة ومقاييسه الشخصية
كان هو السبب فى قيام حركات التجديد والاصلاح
والنهضة رافعة معاولها فى وجه ذلك السد ... كل
عملية تجديد وبعث ليست سوى تحطيم السد بين عالم
الأموات وعالم الأحياء . أعتقد أن « الجاحظ »
فى مسألة اللغة والتصوير الشعبي وقف بعض الشيء
موقف « دانتى » . وحاول أن يحطم ذلك السد قليلا .
ولو أن الأمور سارت بعد ذلك سيرها الطبيعي طبقا
لشريعة التطور لتقدمت اللغة العربية منذ
زمن بعيد . ولكن الغريب أن نجد كاتبا فى هذا
العصر مثل « المويلحى » عندما أراد أن يصور الشعب
المصرى - وهو اتجاه طيب - فى كتابه « عيسى بن
هشام » لم يستعمل لغة « الجاحظ » ولا حتى لغة
« ابن المقفع » بل استخدم لغة الحريرى وبديع الزمان!

بماذا تفسر ذلك ؟ إلا أن يكون هذا هو الاختيار
الطبيعي الجدير بعصر نكاس وانحطاط ، على أن البوادر
تدل اليوم على نزعة جديدة في أسلوب الكتابة . . .
وان كانت القوالب الأدبية لم تتنوع كثيرا .. ولعل
باب « المقالة » هو أبرزها مكانا وأسرعها سيرا في
طريق التطور والتجديد . . غير أن الشعور العام
بضرورة التنويع في الأساليب والأبواب يسرى
الآن في الطبقات المستنيرة ... ؟

— ٢٣٢ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

إني أضع دائماً نصب عيني تلك المصادر الثلاثة
استلهمها فنياً : القرآن ، والف ليلة وليلة ، والشعب
أو المجتمع .. ولكن الأسلوب ... الأسلوب . لعلنا
شغلناك معي بالحديث عن الأسلوب الفنى الذى أبحث
عنه . أين أجده أخيراً ؟ .. ومع ذلك فى وهمى انه قد
يكون على مقربة منى دون أشعر . لم لا يكون هو
ذلك « الحوار » الذى انفقته فى ممارسته وقتاً طويلاً ؟
انه « القالب » الذى بدأت معالجته — كما تعلم —
قبل نزوحى إلى أوروبا . ومن أجله انصرفت حتى عن

— ٢٣٨ —

الكتابة السياسية « المحترمة » في نظر أهل بلادى...
لا يمكن أن يكون هذا الوقت والجهد قد انفق
عبثاً... لم لا تقول ان « الحوار » هو أسلوبى الذى
اتحرق بحثاً عنه ؟ لقد كان هو كما تعلم الناحية التى
استرعت نظر من أطلع على مخطوطاتى فى فرنسا
من أدباء وفنانين . آه... لو أمكن ادخال « الحوار »
قالباً أدبياً وباباً مرعياً فى الأدب العربى ... ؟

حشية — أتدرى يا اندريه لماذا لا أتوقع نجاحاً ؟
لأن التمثيل فى بلادنا أو « التشخيص » هو حتى
اليوم بمعزل عن « الأدب » . فالرواية التمثيلية عندنا
شئ يمثل ولا يقرأ . وربما كان للأدب عذره...
فالتمثيلية لدينا لا يمكن أن تقرأ ، لأنها قائمة على
مجرد الحوادث المثيرة والحركات والمفاجآت .. ولا

— ٢٣٩ —

تعرف بعد الحوار القائم على دعائم الفكر والأدب
والفلسفة... لكن إذا وجد هذا الحوار الأدبي
الفكري الصالح للمطالعة... فاذا ترى يكون موقف
الأدب العربي منه... ؟

— ٢٤٠ —

الاسكندرية في . .

عززي اندريه

لا يُعجبك سيل خطباتي المتدفق عليك . قاني
أذكر قولك ان رسائل تنفعك أحيانا ، لتلف «
فيها فرشاة أسنانك وأدوات حلاقتك وأزرار قميصك
ومختلف حوائجك الصغيرة في اسفارك بين ليل
وباريس . فما يضريك اذن استلام الخطابات الكثيرة؟
ما دمت لا تجيب ولا تتكلف شيئا : لعل لكتابتي
اليك اليوم سببا واضحا معقولا : فالיום هو عيدنا
الكبير والموسيقى تعزف بالأبواب طالبة ما نسيه
« العيدين » . والأراجيح منصوبة . والصيحات

- ٢٤١ -

والأطفال يتصايحون وينفخون في المزامير الصغيرة
بملايسهم الحمراء الفاقعة والصفراء والخضراء . والجميع
يقول بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) فلماذا
لا أقول لك أنت أيضا هذه الجملة ...

ثم هنالك سبب آخر هو أننا في هذا العيد
نضحى بخروف . ولقد أكلنا يا سيدي اليوم ضلع
خروف محمر . ووالله لقد تذكرتك . ولعلك أحسست
اللحم المحمر في بطنك . وقد أكلته باسمك كما أكلت
أنت باسمي في ليل « دسته » الحار الأخضر الذي
أحبه . لكن واأسفاه ! كان ذلك فيما مضى . أما
اليوم فأنا أحس بيطني « الزفت والقطران » . فإذا
تراك تأكل الآن باسمي !!

لست أدري لماذا أتذكر الآن كثيرا موقعي
معك في باريس قبيل سفرك إلى ليل . فقد كان بخلي
منجلا وقسوتي شديدة . إذ رفضت اقراصك كل

ما كنت محتاجا إليه . وأنا على علم تام بأنى لن ادعك
حتى اقرضك ما شئت . ولكنى أردت تعذيبك .
فجعلت ألوح لك بالحفظة ، وجعلتك تتبعنى ذليلا فى
كل مكان . حتى قهوة « مونغارتر » . إنها كانت ليلة
عجيبة . أتذكرها يا اندريه ؟ لقد قلت لك : لا نقود إلا
بعد سهرة ممتعة . فقد تكون هى سهرة الوداع . . .
(وقد كانت) . . . وعهدت إليك بمهمة اقتناص طبيبتين ،
لما لك من خبرة فى هذه الأمور . فجلسنا فى ذلك
المشرب المائج بالطباء إلى قبيل الفجر نتجاذب أطراف
الفلسفة والفنون . وجرفنا الحديث فى لبنيتز وكانت
وديكرت وبرجسون ونظرية الجمال فى الفلسفتين
الألمانية والفرنسية . . . فنسينا ما كنا قد جئنا لأجله .
وأغلقت المشارب وأطفئت الأنوار : فقمنا خائبين
نتعثر فى أذيال عاهرات الحى باثرات آخر الليل . ونحن
نسأل لنفسينا السلامة من شر « الأباش » الأوباش

ونجاة إذا بك تشمر كأن ذراعا تضرب في ظهرك ،
فالتفت مذعورا فاذا هي عامر شوها تستوقفك ،
فخلصت نفسك بعد جهد وقد هدأ روعك بعض
الشيء وقلت لى : « كنت أحسبها لصا » ، وفانت
مواعيد المترو ووقفت المواصلات . فلم يكن بد من
تمضية ما بقى من الليل في حجرتي القريبة بشارع
روشنوار . وهي جعر فأر . وكلها ليست غير سرير
وتحت سرير . فقسمناهما بيننا بالقرعة . فكان حظك
أن تحتل أنت الأرض تحت السرير . وما كدت أتمدد
على فراشي حتى صحت بى ان لا نوم يرجى لى إلا إذا
ظفرت أنت بمبلغ القرض قبل النوم . فنحنى النعاس
من مناقشتك الحساب والاستمرار في تعذيبك .
فدفعت إليك المبلغ وأنا نصف يقظان . ونمت
واستغرقت في النوم فلم أنتبه إلا بعض انتباه إليك
وأنت تحاول إصلاح جرس « المنبه » المكسور

ليوقظك في منتصف السابعة . ولست أدري بعد ذلك
هل طاولع المنبه الضيف الكريم فأيقظه في الموعد
المطلوب ... ؟ كل علمى انك استيقظت مبكرا مثل
المفريت وملأت الحجرة جلبة وضجيجا . تارة تفتح
الأدراج بعنف للبحث عن منشفة وجه نظيفة .
وتارة تشد مسن آلة الخلاقة ، وقد وضعت فيها سلاحا
جديدا هو الوحيد الذى كنت أدخره لأيام ترهتى .
وتارة تزيل الفبار عن ثيابك وقبعتك بصوت كالرعد ...
وأخيرا ... سمعت باب الحجرة يفتح ويغلق ... ثم ...
ثم لم ارك بعدئذ قط ..

— ٢٤٥ —

الاسكندرية في . . .

عزيزى اندريه

اهنتك أولا بعودتك إلى باريس ، ولو ان خبر
مرض جرمين أحزنتى غاية الحزن . وإني لأؤضيك
أن تتبع الخيط في علاجها وأن تعنى بها العناية كلها
مهما يكلفك ذلك من نفقات ...

إنت رسائك يا اندريه تفتح أمامى أبواب
موضوعات ، إذا طرقها فلن أستطيع الخروج منها
قبل أن أملأ صفحات . جاء فى خطابك السابق كلام
طويل عن نفسى وصفاتها وعدم صفاتها . أصر لم أرو
عليك فيه بنعم أو بلا . على انى حسبت انى أجبت

عنه في موضع من المواضع . أو ربما كانت اجابتي في شيء آخر . ان مصيبتى هي في عجزى عن اخراج ما في نفسى كما تصورته أول مرة . ان الفكرة لتكون في نفسى ، وتنمو وتمتد وتتخذ شكلا منتظما في رأسى . بل إنى لأنفق أياما في بناء الأشخاص في مخيلتى ، وترديد ما يقولون من كلام وما يتحاورون به من حوار ، ولا يبقى إلا أن امسك بالقلم لأضع على الورق كل هذه الحياة الزاخرة النابضة . فاذا .. واأسفاه ، شيء آخر باهت بارد كالجثمان الهامد هو الذى يخرج . عمل واحد استطاع أن ينبجر من هذه النهاية : عمل دفعتنى نفسى إلى كتابته ، دون أن استجمع فى رأسى شيئا من تفاصيله أو أستحضر فى خاطرى دقائقه وأجزائه . ومن الغريب ان الأشخاص تكونت وتلونت وكأنها تخلق وجودها بذاتها ، وسارت القصة بأشخاصها ولى إلى حيث

— ٢٤٧ —

لا أدري : إلى أن أخبرتنى الأشخاص أنفسها بالنهاية
المحتومة التي لا بد لها أن تنتهي إليها ...

لماذا أكتب إليك كل هذا الهراء ؟ أنت الذي
برهن لي في فترات على قلة اكترائه بما أصنع وبسعريته
من آلامى وقلق النفسى وشكوكى وأزماتى !
لطالما حرصت مع ذلك على اخفاء أغلب هذه الأشياء
عني . ولا تغضب عليّ . لقد شعرت في يوم من
الأيام أن صداقتنا لا تركز على التشابه ولا الاتفاق
ولا الاتحاد . لقد كنا طرفي تقيض . لم يكن لي حتى
حق الافضاء إليك بما يملأ كل كياني الروحي .
أتدري ما هو هذا الشيء الذي كان يملأ كل كياني
الروحي ؟ هو حى الخلق الفنى . لقد كنت أخشى
استهزاءك بهذا الشيء المقدس عندي : انى ما كنت
أطلعك إلا على ما أطيق تعريضه لسخريتك . انك
ما كنت تستطيع أن تفهم ما كنت انا فيه وقتذاك .

لقد كنت انت رجل « واقع » أكثر مما ينبغي
« لشاعر » ... هل كان في مقدورك فهم تصرفاتي
الجنونية في ذلك الحين ؟ تصور اني قضيت شهورا
أجهد ليل نهار في عمل أدبي جديد استغرق هو الآخر
مئات الصفحات . ولم أفطن لنفسي إلا يوم جاءني
تلك البرقية تدعوني إلى العودة إلى بلادي . كان في
البرقية هذه العبارة : « احضري أول مركب . تعيينك
تقرر » . وتسلمت بعدئذ نقودا للسفر وخطابا يوضح
لي فيه امكان شغلي وظيفتي بالنيابة العمومية المختلطة .
عندئذ شعرت بما يشعر به ملاك في السحب وهو
يهوى إلى الأرض اأنا ؟ أنا الذي يعيش في سماء
الفن يفكرون له في وظيفة من الوظائف ا هو لا
الناس قد جنوا من غير شك ا كيف يخطر على بالهم
أن يوظفوا ملاكا من ملائكة السماء ا وأعدت النظر
في خطاب أبي الذي يقول فيه : انه لا يرى حتى ذلك

الوقت في بلادنا شخصا انفراد بحرفة الأدب دون أن يكون له عمل آخر هو عماد حياته وقوام عيشه ... وقال « انه لا يصح القياس مطلقا بما هو حاصل في اوروبا . فان الوقت لم يحن بعد في بلادنا لأن يضحي أحد بمستقبله في سبيل الأدب مثل هذه التضحية التي لا تدرك البلاد قيمتها ولا تشعر بها ولا بصاحبها .. » لعل في هذا الكلام صوابا . ولعل طلبت إلى أهلى أكثر مما تحتمله الطبيعة الأتوية . وارتدتهم أبطال قصص يأخذون الحياة كما أتخيلها أنا . هنا فقط تذكرت لأول مرة مسألة « أكل العيش » نعم . ينبغي أن أكسب لقمتي على الأقل . فأنا مخلوق يأكل ويشرب . ولم يغب عن والدى كل ما يحتمل صدوره منى فنص في خطابه : « لن أنفق عليك مليا واحدا بعد الآن إذا أخذت المال المرسل للسفر فصرفته في غير وجهته ولم تحضر ، وضاعت الوظيفة

بسببك . ما العمل ؟ ومخطوطاتي الأدبية لم تم .
إنى فى حاجة إلى عامين آخرين فى هذا الجو الفنى
لأُكمل عملى : لقد تغلبت إلى حد ما على صعوبات
الخلق والتكوين . ولكن هناك صعوبة الأسلوب .
إنى أكتب بالفرنسية . فلا بد لى من امتلاك ناصية
الأسلوب الفرنسى . وخاصة ذلك الأسلوب الحديث
الذى يشبه موسيقى « سترافنسكى » الحديثة فى
تعدد ألوان عباراتها وبريقها الخاطف بالصور ومفرقاتها
المدوية بغريب المعانى ، كأنها سوارىخ الأعياد
والكرنفالات . لا بد لى من المكث بباريس عامين
آخرين . كيف السبيل إلى ذلك ؟ هل يستطيع
اندريه أن يقاسمنى نصف نقوده ، ونعيش فى
حجرة « منسارد » كحجرة ايفان ، ونأكل أكل
الكلاب من أجل « تخريفة » لتوفيق الحكيم !!
هذا ما كان اندريه لاشك قائله ! اطمئن يا اندريه .

— ٢٥١ —

لم يخطر ببالى قط خاطر كهذا . ربما كنت قد فكرت لحظة فى البحث عن عمل بباريس ، ولعلى فكرت فى الالتجاء إليك لتجد لى مكانا صغيرا فى أحد المصانع . ولكنى طردت من رأسى هذه الفكرة على عجل . فأنا أعلم صعوبة الحصول على عمل حق للفرنسى ، فى زمن كثر فيه العمال العاطلون . وان وجد العمل فان نفسى ليشق عليها مزاحمة الفرنسى فى بلاده على انتزاع اللقمة من فيه . وأخيرا رأيت كما تعلم ان الأولى بى الاصغاء إلى نصيح مسيو هاب وترك الكتابة بالفرنسية . ووضع عملى من جديد فى لغتى ولغة بلادى التى لازمتنى منذ الصغر . فأنا فى الحقيقة لا أريد مطلقا أن أكون مثل أولئك (اللقطاء) من الاجانب الذين يلجأون إلى الفرنسية لانهم لا يملكون لغة قومية عريقة . . . انما هو الاصرار العنيف على أن أنتزع من باريس ما يقنعنى بأنى

— ٢٥٢ —

حقا قد أصبت من الادب والفن شيئا . . . وما يقنع
أهلى المساكين بأننى لم اضع حياتى سدى ... لكأنى
أردت من باريس شهادة أعود بها فى موكب زملائى
من دكاترة الحقوق الراجعين بألقابهم العلمية الظافرة...
ولكن باريس خذلتنى ... وأفهمتنى أن الخلق الفنى
شئ آخر ... وان الطريق إلى الفن طويل وعمر ... ما

الاسكندرية لى . . .

عزيزى اندريه

أمس فقط طالعت رسالة قديمة منك ، حينما
كنت فى « ليل » ، فاذا أنت تصفنى بأننى ذو قلب
طيب صاف . بل أكثر من ذلك : قلت انى من
« اولئك الأصدقاء النادرين فى الصداقة » . وتلك
كلماتك بنصها . أتذكر الآن ما قلت ؟ لقد أخبرتك
ان هنالك أشياء أو على الأقل شيئاً واحداً لا أجرو
على مصارحتك به ، لأننى لا أطيق أن تتناوله
بسخريتك . شىء كنت أقدمه ، كما قلت لك ،
بكل ما يستطيعه قلب شاب طائش . لم يكن الحب ،

يا صديق ، فى باريس بالقوة التى تخرجنى عن التوازن .
إنما الذى أخرجى عن طورى هو حب الأدب .
وحلت المطامع الأدبية . عندى محل المطلع العاطفية .
ولكل حب « عذال » كما نرى نحن أهل الشرق
قد كنت أنت عندى « ماذل » الأدب . نرمنى
بالخيال والجنون بحجة ردى إلى حظيرة العقل والواقع .
لذلك ما كان ينبغى لى أن أطلعك على جنونى الأدبى
ومطامعى الأدبية إلا بمقدار . فهل ترانى راوغتك
أو أخفيت عنك شيئاً غير هذا الشيء ؟ ومع ذلك ،
دعنا من كل هذا . إنها باريس . إنها كانت باريس .
آه يا عزيزى اندريه . إنها عندى كانت حلما . وكل
تصرفاتى فيها انما هى من قبيل تصرفات الأحلام !
ما كنت أسير بمنطق العقل قط . ولكن اعرفنى
الآن ... ها هنا .. وأنا هادى . وأنا فى اليقظة .
وبعد ؟ فلماذا تشاء أن تحدد طبيعى وشخصيتى الآن

ألم أقل لك مرارا انى شخص غير مفهوم الآن حتى
لنفسى ! على أنى أعتقد أنى خلقت للغير لا للشر .
وإذا نفذ إلى الشر فنكم انتم يا أصدقائى ومعارفى .
اندريه : ما هذا الانقباض والاكتئاب فى آخر
رسالتك ؟ إنك تذكرنى بتوفيق الحكيم فى إحدى
أزماته القلبية والفكرية بباريس ! ولا عجب لمشله
إذ يكتب هناك وينقبض على الدوام ، فلقد كان
تعبا حقا . خائبا فاشلا فى كل نوع مارسه من أنواع
الحياة ، خاب فى الجامعة ، وخاب فى الحب ، وخاب فى
الأدب . لم يظفر قط بانتصار فى شىء ما . ذلك
الانتصار اللازم للشباب كى ينتفش ، لزوم الأمطار
للأزهار ! لقد صفعه الحب على الخد الأيمن ، ولطمه
الأدب على الخد الأيسر . ثم وقع أخيرا ذليلا على
أرض العذاب النفسى إذ تذكر انه ما زال يعيش من
مال أهله . فهو ليس حرا حتى فى الفشل . وليس له

الحق حتى في حرية الرضا بالشقاء . ولكن انت
يا اندريه ؟ ما الذي يقبض نفسك ويملؤك اكتئاباً ؟
لعله منظر الخريف الكتيب حولك وتساقط الأوراق
الصفراء . ان قلب الشاعر « مقياس حرارة » يتأثر
أحياناً بمظاهر الطبيعة ، فيبكي لبكائها ، دون سبب
آخر يدعو به إلى البكاء . لم يتحلى في لحظة من لحظات
حياتي أن أحزن لحزن الطبيعة أو أبسم لابتسامها .
فإن ما عندي من أزمات داخلية شغل قلبي دائماً عن
الطبيعة . ان عيني مصوبتان دائماً إلى أعماق قلبي !
آه لو نزع عني قليلاً هذا « الجراب » المملوء بالأرزاء !
يبدولي يا اندريه اني إذ أرفع بصري إلى الحياة
الخارجية وأنسى نفسي الداخلية ، يعود إلى الصفاء
ويشرق وجهي بروح الفكاهة والمرح . إنني أستطيع
أن أكون أكثر الناس مرحاً ودعابة وضحكاً .
فأنا أملك هذه الروح الفكاهية أحياناً . ولكني

لا أجرؤ على الابتسام طويلا . لا تحسب يا اندريه
ان أسباب كآبتي وضعف ثقتي بنفسى قد زالت
الآن . على النقيض . ومع فلك فما أنت ذا تشعر
بتغير فى حالتى النفسية . الواقع انى تغيرت . فأنا
هادىء ، صاف . مطمئن . فلاحى ولا حرارة ولا
حماسة .. ولا شىء يهزنى من تلك الأشياء . ربما
كان هذا لأنى لم أعد أطمع بعد فى شىء . فأنا أسير
فى يد الزمن كما يريد لا كما أريد .

معذرة إذا كنت أتجنب الكلام فى انقباضك
انت ، فأنا أحب ان تعلم انى لا أعيره أهمية ولا التفاهة .
وإنى لأراه غمامة سوداء من غمام الخريف . ان ثقتى
فيك وفى قوتك وفى نجاحك فى الحياة لعظيمة .
وختاما أنصح لك أن تصحح عقيدتك فى مهرة
أخرى ... ؟

— ٢٥٨ —

طنطا في . . .

عزيزى اندريه

أهنتك « بالنويل » وبالعام الجديد من مدينة
« طنطا » ، فقد عينت وكيلا للنيابة بهذه المدينة .
انها عاصمة اقليم يعد أكبر أقاليم القطر المصرى .
لك أن تفخر اذن بصديقك بعض الفخر لن أمضى
في الكتابة لأنى غير متابع ما تفعل الآن . فقد
انقطعت بيننا السلسلة . وأخشى أن تكون غير
مستعد لاتفاق بعض الوقت فى مطالعتى .

إنى مطمئن كما ترى بعض الاطمئنان . فالعمل
فى القضاء قد قضى على كثير من هواجسى الأولى .

— ٢٥٩ —

إني أبنت الآن في حياة الناس ، وأطلب رؤوس الناس .
فيجب على الأقل أن يكون لي رأس يدري ما يصنع .
ومع ذلك . . كلا . . لست في الاطمئنان الذي
تظن . اكتب إلى . اكتب إلى " يا اندريه كما كنت
تصنع من قبل . انك لاتدري خطورة سكوتك !...؟

— ٢٦٠ —

منطلي... .

عزيزى اندريه

رسالة منك ... أخيرا ؟ ! آه صدق من قال ،
وأنت نفسك القائل : ان لا يجب ان آخذك أحيانا
على سبيل الجد . لو علمت كيف أقت الدنيا فى نفسى
وأقعدتها لسكوتك . وأخيرا ها أنت ذا تتكلم فأترا
باسما تلك البسمة الساخرة لتقول لى فى هدوء وبساطة :
«لماذا كل هذه الأهمية التى تريد أن تعطىها لسكوتى ؟!»
يا لله ! بماذا أجيب ؟ لا شئ . ان الحق لا شك
فى جانبك .

والآن فلتحدث . تقول إنك لا تكتب إلى

-- ٢٦١ --

لأنك الآن تعيش بلا تفكير . عجيباً . أو لا يمكن
أن تكتب إلى بغير أن تفكر . أحقاً أن اتصالتنا
الكتابي له عندك كل هذا الاعتبار ! أترأه قد سلم
من عبثك وهزلك ؟ وما عساك تقول إذا أخبرتك
أنى الآن أبعد منك شوطاً في هذا السبيل . عبثاً
تحاول اليوم أن تتعرف في محب الأدب والفن
والتفكير . كلمات كانت هي كل حياتي منذ سنوات،
وان شئت فنذ... وجودى . تقول ان ليس لديك
الوقت الآن للمطالعة والتفكير . فان الحياة قد جرفتكَ
في خضمها . هذا حسن . أما أنا : فحتى ان وجدت
الوقت فلست واجدا الجو ولا المحيط ولا البيئة ولا
المناسبة . كل ما يكتنفنى اليوم من مناظر وجماد
وانسان لا يثير فيّ شيئاً مما يرفع النفس فوق ذاتيتها،
فكل ما حولى هو مما يهبط بالنفس أدنى من ذاتيتها.
إنى أعيش في جو الجريمة . وأحيا في عالم الفرائز

الدنيا . إني مع القبح الآدمي ، المادى والمعنوى ،
ليل نهار ووجها لوجه ! La Laideur !.. La Laideur .
أهذه هي الحقيقة ؟ أهذا هو عالم الواقع الذى كان ينبئني
أن أهبط إليه ؟ ! لعلك تريد أن تسألني متعجبا : كيف
أنت كوكيل نيابة ؟ « لأنك ما زلت تعتبرني الشخص
الفارق في الخيال . ولم تستطع قط أن تصحح من
رأسك تلك الصورة . واأسفاه ! .. لو علمت كيف
تحطم اليوم هذا المثال ! الأدب والتفكير لم يبق
معنى منهما شيء . تقول في آخر رسالتك انك بدأت
مع ذلك تطالع « تاريخ الفلسفة » و « أرسطو » .
واهاً لنفسي وما وصلت إليه ! لكم كنت أود لو
أظل طول حياتي في تاريخ الفلسفة . أى جمال فكري
نحرمنا إياه الحياة لتقذف بنا وسط هذه الجثث
والأشلاء ! ولكنك أردت لى يوما أن أواجه عالم
الواقع . فهالك ما أردت . ها أنذا في عالم الجثث

— ٢٦٣ —

والجيف ا . أنا الخيال الذى لا يعرف من الانسان إلا
ما فى الكتب (الفلسفية أيضا) ، أقف الآن فى
كل يوم على عمليات تشرح جثة الانسان ا انا الذى
اعتقد فى نفسه طويلا رقة الحس إلى حد الارتعاد
من منظر اصبع تخرج . مما صرفنى يوما عن التفكير
اطلاقا فى دراسة الطب ، أمر الآن طبيب المركز
بتقطيع أوصال الجثث بالشرط فى حضرتى لأنظر
إلى تجاوزيف الصدر والقلب والأمعاء . أنا الشاعر
مرهف الشعور ، أطلب وأشاهد الجزر والتقطيع
ولا أرتعد . أنا الذى كان يحسب الانسان . كما صورته
الكتب وتخيله الشعر ... لقد فهمت الآن انى حقيقة
كنت طفلا إذ كنت أجهل من اى شىء تركب
نحن . ولكنى من جهة أخرى فهمت أيضا كلمة
« جوته » : « ان العلماء يزعمون انهم فهموا الانسان
وقد نزع عنه أثمن شىء فيه ، بل كل شىء فيه ...

(ربما قصد الروح وحياة الحواس) ١ . من المستحيل
على من لم يحضر التشریح قط ان يدرك معنى كلمة
« جوته » على حقيقتها . لقد افادنى التشریح فى شىء :
لقد خرجت منه وانا اشد ايمانا بالروحية من قبل ،
وأقوى ايمانا كذلك بأنى رجل يستطيع احيانا فى
سبيل حب المعرفة ان يكون غليظ الكبد فاقد
الشعور ... وبأنى رجل يدرك ايضا قيمة الحواس
المادية فى الانسان ... اجل يا اندريه . درس التشریح
ثبت ايمانى بالروحية والمادية معا فى كيان الانسان .
وجعلنى اتأمل مرة اخرى واعيد النظر من جديد فى
قضية الأدب . واتساءل ما رسالة الأدب إلى
الناس ؟ ... أهو نصرة الروح ام نصرة المادة ؟ لقد
اعتاد المفكرون تحقير المادة للرفع من شأن الروح .
ولكن أليس للمادة صوفيتها هى ايضا ؟ ان العين
النشوى بمنظر جميل ، والأنف السكران بشذا

عاطر . والفم الهانىء بمذاق لذيد .. وكل حواسنا التى
تصلنا بـ العالم المادى لتقديره احيانا ان ترفعنا إلى سعادة
شبه روحية . كلما تنهت هذه الحواس وتيقظت
وتدربت وعرفت كيف تستخلص من المادى اجمل
ما فيها ... هنا استطيع ان اقول لك ان الأدب العربى
على ضعفه البنائى وفقره فى القوالب الفنية - كان غنياً
فى مراميه واتجاهاته . فهو لم يطرح من حسابه
الاشادة بالسعادة التى تبعثها الحواس المادية ، الى جانب
اشادته بالمتعة الذهنية التى تصدر عن قوانا المفكرة .
ففى اغلب كتب الأدب العربى تجد فصولا طويلا
عن مباحج الأكل والشرب والطعام والخمر والمسك
والريحان ومتع اللبس وحقى متع الجسد او ما يسمونه
« الباه » .. كل ذلك يسجلونه بعناية لا تقل عن
عنايتهم بالفصول الأخرى التى يدونون فيها لذائذ
العقل وطرائف البيان . وهم يكتبون وينظمون فى

- ٢٦٦ -

موضوعات حسية مما نسميها شائكة بصراحة تامة .
لأن «الفضيلة» عندم سلوك ومعاملة ورجولة وشهامة
لا انكار لمطالب الحواس ولا إغفال لقوانين الطبيعة..
ذلك في نظري دليل الحيوية . واني لم ادرك معنى
«الحيوية» على نحو عميق الا يوم حصرت (التشريح)
عند ذاك بدأت ارى ان رسالة الأدب ليست نصرة
الروح على المادة او نصرة المادة على الروح . انما
رسالته اقرار التوازن بينهما بانماء هذه (الحيوية)
في كل منها . لأن (الانسان الحي) حقا هو ذلك
السكان الذي تيقظت فيه كل جاسة وملكة . مادية
او روحية . وتكونت وتهذبت حتى استطاعت ان
تحصل له وتخير اجمل ما في الوجود من عناصر
السعادة الروحية والمادية . . . اعتقد ان تلك غاية
البشرية كلها منذ القدم : ترى أثرها في الوثنية (مصر
القديمة والهند والاعريق والرومان) ثم في الاسرائيلية

والاسلام ... ولم يشذ عنها إلا عصر الرهينة المسيحية
فى القرون الوسطى حيث طغت فكرة تضحية
الجسد من اجل الروح . فأهاوا المادة ... تلك الالهة
التي ما زالت لاحقة بها حتى اليوم . وخلطوا الفضيلة
بالزهد .. وخلطوا الرذيلة بالمتعة . وتغير مدلول كلمة
« الأخلاق الفاضلة » فى ذلك العصر عن مدلولها فى
عصور الحيوية والفطرة . ولم يخفف عصر النهضة فى
اوروبا من تلك الفكرة فيما يتعلق بالأدب إلا تخفيفا
يسيرا ... فلبث الأدياء والشعراء هناك حتى المصور
الحديثة يرون واجبهـم فى تحقير المادة والحواس المادية
عند الانسان . فى رأيي ان اغفال أى حاسة من
حواسنا هو اقفال باب من أبواب المعرفة . إن المعرفة
البشرية لا تدخل إلينا من باب العقل وحده . إنما
تتسرب إلينا من كل مسام جلدنا وجسدنا وذهننا
وروحنا ووعينا الظاهر والباطن . فمن كان يتوق حقاً

إلى المعرفة الكاملة والحقيقة العظمى فليفتح لها كل
الأبواب والنوافذ ... كنت أود أن أحدثك طويلا
عن حياتي الجديدة في طنطا . ولكنى اكتفى اليوم
بأن أقول لك انى اقطن النزل النظيف الوحيد فى
هذه المدينة . وهو « بنسيون » يحوى من التزلاه
ثلاثة من الفرنسيين . وانجليزيا واحدا . واثنين من
الألمان . وهم من المدرسين وموظفى البنك . وقد
اشتريت جراموفون جديدا . وأحضرت من القاهرة
أخيرا « السانفونية السادسة » أى الريفية . وقد
كلفتنى مائة وخمسين قرشا . وأوصيت بشراء
« التاسعة » وهى فى عشر اسطوانات . للشهر المقبل ..؟

— ٢٦٩ —

طنطاني . . .

عزيزى اندريه

أشكر لك أقفاص المحار البرتغالى التى أرسلتها
إلى مصورة على ظهر « كارت پوستال » . انك
عرفت كيف تثير منى الذكرى وتجرى من فى اللعاب .
وبعد : فلقد تباطأت فى الكتابة إليك . لأنى بالخبرة
والتجربة تبين لى انك ذواقه فى شئون الفكر ،
كما أنا كذلك فى شئون الفم ، على الأقل على حد
اتهامك اياى . فرسائلى التى لا تعجبك لا تحسب
عليك . لهذا آثرت السكوت على الكلام الفارغ .
هذا سبب . والسبب الآخر ان حياتى الآن تتعارض

— ٢٧٠ —

قليلًا مع الكتابة . لأنها حياة . وليست بعد تعبيرًا عن الحياة . لكن ما أسعدك انت بهذا ... ! هذا كل ما كنت تتمنى لي : الحياة . نعم يا عزيزي اندريه ... انى غارق فى الحياة والواقع إلى أكثر من أذى . وثق ان التعبير عن هذه الحياة هو مالا أريد الاشتغال به الآن ، حتى لا يقال انى فى وظيفتى القضائية وفى كرسى النيابة انما أقعد على « فوتيل » رقم كذا لأشاهد الحياة مشاهدة النظارة فى قاعات التمثيل . ولن يقول هذا أحد سواك ! وربما مسيو هاب لو علم ! . كلا . إنى أعيش الحياة وكفى . فلنترك اذن رواية خبرها للمستقبل . ولنسطر أفكارنا العابرة فقط ، تلك الأفكار الفارغة التى لا بد منها ملء رسائلنا . على ان هذه الأفكار قد ذهبت عنى الآن أيضا . ولم يبق منها ما يستحق ان أبعث به إليك . فاعذرنى إذا القيت على الورق بكل ما يمر برأسى من خواطر ...

اندريه ايجب ان تعلم ان نافذة حجرتى تشرف
على ميدان « الساعة » . ولكى تعرف اهمية هذا
الميدان يكفى أن أخبرك انه فى طنطا بمثابة ميدان
« الكونكورد » فى باريس . . . ومع ذلك فانه
ليخجلنى ان أصف لك ما تقع عليه عينى وسط هذا
الميدان . لست أعنى البشاعة الفنية التى تقوم عليها
تلك الساعة الكبيرة . فما لا ريب فيه انه لم يرد فى
خاطر أحد أن يقيم فى ذلك المكان شيئا فنيا على
الاطلاق . بشما كان او غير بشع . انما الذى أعنيه
هو انعدام كل ذوق وزوال كل لياقة ... فقد أنشأوا
وسط الحضرة المغروسة فى قلب الميدان بناء ظاهرا
وهيكلا بارزا ، يكاد يشمخ على غيره من المباني بجلال
موقعه ... أتدرى ما هذا البناء ؟ انه ليس أثرا تاريخيا ،
ولا نصبا تذكريا ، ولا معبدا فنيا : انه مرصع

— ٢٧٢ —

عموى ا .. ومع ذلك فلا تنس اننا نحن الذين أهدينا
إليكم تلك المسلة الرائعة التى عرفتم قدرها فاخترتم لها
أرحب مكان فى صدر باريس : وهو ميدان
« الكونكورڊ » ا .. ثق ان لدينا من أمثال هذه
المسلة عددا كبيرا ملقى هنا وهناك فى الرمال ...
ولكنهم عندنا يفضلون المراحيض ... لأنها فى
نظرم أنفع على الأقل وأجدى ...

آه يا اندريه ا كل يوم تبرهن لى الظروف
على أنى كلما دنوت من منطقة الفن والفكر فى مصر
أصاب بخيبة أمل ! .. ان روح الجمال والفن لم يحل
بعد أو على الأصبح لم يبعث من جديد فى أرض مصر
الحديثة . من المسئول عن قتل روح الفن فى مصر
وقد كانت هى منبع الفن منذ القدم ؟ انى لست من
رأى القائلين ان العرب هم المسئولون . ان العرب

ليسوا بهادى حضارات . انهم طاقوا بمدنيات زمانهم
يأخذون وينبذون ، ويتخيرون ويتركون ... ولكنهم
ما هدموا قط وما حطموا . ان المستول هم المغول ...
ذلك الجنس القادم من أواسط آسيا بلا حضارة ولا
مدنية ولا مزية غير مزية الحرب والضرب . اولئك
هم الذين حطموا المدنية الاسلامية بما جمعته ونقلته
وصقلته من مختلف الحضارات . ان مجرد الاطلاع
على تاريخ مصر فى تلك الحقبة للظلمة التى وصفها
« الجبرتى » ليكفيها أن ترى إلى أى درك هوت
بلادنا المسكينة . بل ان لغة الجبرتى فى ذاتها . وقد
كان من خيرة علماء الأزهر وقتئذ ، لأنصح دليل
على أن اللغة العربية نفسها قد سقطت فيما سقطت تحت
سنايك جياد اولئك البرابرة ! .. وخرجنا من هذا
الظلام كما خرجت اوروبا من القرون الوسطى . هى
ارتعت فى أحضان الاغريق وارتمينا نحن فى أحضان

العرب . وهي سارت في عصر النهضة من التقليد إلى
التجديد . ونحن لم نزل في طور التقليد . ولعل هذا
يفسر لك أسلوب « المويلحي » الذي حدثتك عنه
ذات مرة . على أن هناك بوادر كما قلت لك ، ولا أكثر
من بوادر ، تدل على أننا بدأنا نتحرك نحو عصر
نهضتنا . ولكن السير الجدى نحو هذه النهضة
يتوقف على ثقافة القائمين بها . فنحن نعيش اليوم في
عصر حضارة عظيمة . هي الحضارة الأوروبية . فأى
جهل منا بفرع من فروع هذه الحضارة معناه التخلف
والقعود . ان روح الحضارة الاسلامية الحقيقى كان
الطموح إلى الالم على قدر الامكان بكل الأفكار
والمعارف والعلوم والفنون الشائعة في الحضارات
للعاصرة لها . وبما لا شك فيه عندى انه لو لم يكن
للعول لما تخلفت الآداب العربية والفنون الاسلامية
عن نظائرها في الحضارة الأوروبية القاسمة . لأن

التبادل الفكرى كان دائماً قائماً بين حضارة الاسلام
والحضارات الأخرى . وان من السهل أن نتصور
المجرى الطبيعى للمدنية الاسلامية إذا استبعدنا الخطر
المغولى . لقد كان فلاسفة العرب متصلين بأوروبا
وكانت عقلية العلماء والأدباء فى الممالك العربية متفتحة
لتقبل كل تطور تأتى به روح العصور التى يعيشون
فيها . فما كان هناك سبب قط يدعو للتفكير العربى
إلى التخلف عن أى تفكير معاصر يتطور ويتجدد .
فاما أن يسير فى موازاته . واما أن يأخذ منه ويعطى ؛
ويؤثر فيه ويتأثر به . ويحدث بينهما ما يحدث الآن
بين التفكير اللاتينى والتفكير السكسونى من
تفاعل وتداخل وتماق وتزامن ... فاذا أردنا القيام
بمصر نهضتنا جدياً فعلينا التشبع بهذه الروح . أما
ان نظن النهضة فى مجرد تقليد العرب بالحالة التى وقفوا
عندها يوم انهيارهم أمام المغول ، دون أن نلقى بالا إلى

القرون والأجيال التي انطوت وذهبت وفصلت
ذلك العهد عن عهدنا الحاضر بما استجد فيه من علوم
وفنون وأساليب حديثة ، فهو حق وعمى وجهل لو
اطلع عليه العرب الأقدمون أنفسهم لسخروا منه
ومنا ... من أجل ذلك كان الشرط الأول ، في نظري ،
هو الثقافة التامة ... نعم ؛ ينبغي لهضتنا رجال من طراز
رجال عصر النهضة في أوروبا : رجال موسوعيون
يحيطون بكل ثمرات الدهن وتاج العبقريّة في الحضارة
المعاصرة لهم والحضارات السابقة عليهم ولكن مع
الأسف ... أغلب رجال الفكر والأدب عندنا
لا يريدون أن يلموا بأكثر من المادة اللفظية
التي تمكنهم من تديج لل مقالات التي يحتنون فيها
النماذج العربية القديمة . تصور ان كاتباً مثل «المويلحي»
نرح إلى أوروبا هو الآخر مثل كثيرين من أدباء
عصره ... لكن عبثاً نحاول أن نلمح في آثاره أو

آثارهم ما ينم عن معرفة او تذوق لفنون اوروبا .
انى لا تسأل : أ كانوا يسرون هناك معصوبى الرأس
لا يبصرون ولا يسمعون ؟ .. ما الذى كان يصد
عيونهم عن آداب تلك الأمم الحية وهى معروضة فى
الطرق تصيح من واجبات المكتبات ؟ .
وما الذى كان ينم أرواحهم فلا يفتنون إلى جمال
الهيكل وآثار الفن . القائمة هناك فى كل مكان ،
تكاد تضعف بصرها البصائر والأبصار .. ولا
تدع ذا فهم وذوق حتى تبث فيه النشاط إلى الاطلاع
والاغتراف من كل ينبوع من ينابيع الفكر والروح .
يخيل إلى ان « الحريرى » نفسه لو بحث من قبره
ووضع هناك لما طال به الأمد عن التنبه والتفطن
والانتعاش والانتفاع بكل ما ينبض حوله من مظاهر
الحضارة الحية القائمة . ان العرب كانوا قوى بقطعة
وفطنة وإحساس وتأثر بكل ما جاورهم وعاصروهم من

مدنيات . ان أدباء هذا العصر لمن طراز غريب .
إنهم لا يمكن أن ينسبوا إلى العرب . حتى وان
أجادوا تقليد أساليبهم . انهم في رأي طراز قد طعم
بالروح المغولى . ذلك الجنس الذى يقلد ولا يتكرر ،
ويسيطر ولا يبصر . ذلك الجنس الذى استطاع أن
يبلغ اسوار « فيينا » . ويتوغل فى اوروبا دون أن
يرى شيئا من تقدمها الذهنى . ودون أن ينتفع بشيء
من حضارتها الفكرية . كل مجد المغول فى الحرب .
وكل فهم تقليد بعض ماوقع فى أيديهم من الأساليب
العربية تقليدا ضيقا . وكل فكرهم حفظ بعض
النصوص الاسلامية حفظا مغلقا . . . وهكذا ورث
تلك العقلية المغولية أدباء العربية فى هذا القرن . فلم
يروا شيئا ولم ينتفعوا بشيء غير ذلك . ولم يخرجوا
عن نطاق تلك الدائرة المقفلة . حتى الفكر الاغريقى
الذى اتصل به العرب وتفقهوا فيه وكشفوا للعالم عن

مراميه ... هو أجنبي عنهم . وسن باب أولى الأدب
الاغريقى وهو أعقد من الفلسفة الاغريقية وأعسر ،
لأنه متصل بالفنون الأخرى اتصالاً وثيقاً . فخذ
المأسى الاغريقية مثلاً . محال ان ينفذ إلى لبها وروحها
من ليست له دراية ، لا بفلسفة الاغريق وحدها ،
بل بكل أساطيرهم وفنونهم من النحت إلى الرسم
على الأوانى . لا أمل لنا كما ترى فى تجديد الأدب
العربى إلا بالاطلاع الواسع والثقافة الشاملة . إن
تربية أهل الأدب فى مصر حتى مطلع هذا العصر
هى تربية لغوية ، قوامها الكتب . ثقافتهم الكتب
وحدها . بها نشأوا وعليها وحدها اعتمدوا فى تكوين
ملكة الانتاج . هل يمكن ان نجد كاتباً اوروبياً يعتمد
فى تكوين ملكاته الخالقة على الكتب وحدها ؟ ..
هل يوجد أولاً مثل هذا الكاتب فى اوروبا ؟ وإذا
وجد هل يستطيع أن ينتج هذا الانتاج الذى نراه

يرتكز على فن متين التركيب أصيل التفكير . ان
التربية الكاملة الشاملة لختلف الفنون منذ الصغر
هى التى تنمى عند الأديب الأوروبى ذلك الاحساس
بالتناسق الفنى الذى يرفعه إلى هذه المرتبة من مراتب
الخلق والابداع . وإذا سألتنى عما أعنى بالتربية
الكاملة فأنى أقول لك : هى تربية جميع الملكات
والحواس مجتمعة . فتربية ملكة العقل وحدها
لا تكفى عند رجل الأدب والفن ان لم تصاحبها
تربية حاسة البصر وحاسة السمع ... وحتى حاسة الشم
والذوق ... التربية الكاملة للحواس والملكات هو
ما أسميه « الثقافة الكاملة » . لا ينبغى لأديب او فنان
أن يترك حاسة من حواسه هملا بغير تكوين ،
عاطلة لا تؤدى عملا . يجب أن يعلم منذ الصغر ان
لكل حاسة « آداب لغتها » . وان عليه أن يحدق
« آداب اللغات » جميعها لكل حاسة من حواسه .

فكما ان آداب لغة العقل والفكر تقرأ في الكتب
والمكتبات . فان آداب لغة العين تشاهد في المتاحف
والمعارض والمهاكل والآثار الفنية والمناظر الطبيعية.
وان آداب لغة الأذن توجد في قاعات الموسيقى والتمثيل
والغناء . وان آداب لغة الشم في العطور الجميلة ...
ولغة المذاق في المأكول اللذيذة ... الخ ... يجب أن يعلم
الأديب والفنان ان من واجبه ان لا يجهل قط وجود
« الجمال » الاسمي عند كل حاسة من حواسه وان
هنالك عباقرة قد استطاعوا التعبير عن هذا الجمال ...
وتمكنوا من استخلاصه واستصفائه وصبه في قوالب
فنية رائعة : هي الكتب والصور والتماثيل والمعابد
والسافونيات والأوبرات والأناشيد والتمثيلات
والأشعار والأزهار الخ ... ما للفنون المختلفة آثارها
الباقية إلا « آداب لغة » كل حاسة من حواسنا .
فعلينا أن نلم بتاريخ أدب هذه اللغات ، وأن نتذوق

أجل نصوصها في كل ناحية من نواحيها ، وأن
لا نقصر التفاتنا على أدب دون أدب . فنظن الجمال
في آداب لغة العقل وحدها ، أو آداب لغة الفكر ...
انما يجب أن نعلم ان لكل حاسة عوالم من الجمال
لا نهاية لها ... وانه ينبغي لنا ، إذا أردنا الارتقاء
بأدميتنا . أن نسمو إلى تلك العوالم وأن نجوس في
أرجائها الواسعة . مهتدين بقيادة عظماء الفنون الذين
طافوا بها قبلنا واستكشفوا قممها وغاصوا على
كنوزها .. نعم .. لكل حاسة وملكة صحائفها
الرائعات في تاريخ العبقرية الانسانية الخالقة ، ولا بد
من الاطلاع عليها جميعا لمن يريد أن يضع يده على
اسرار الخلق في الأدب والفن ... تلك هي التربية
الكاملة والثقافة الشاملة التي أراها ضرورية لأدباء
عصر النهضة . وإذا كان الأدب العربي في هذا القرن
واقفا عند تلك المرحلة البدائية ، فذلك لأن أكثر

— ٢٨٣ —

الأُدباء لم يتلقوا بعد هذه التريية الكاملة التى تؤهلهم
لتحمل أعباء الخلق الفنى الكامل ...

البارحة كنت فى القاهرة وحضرت حفلة غناء
شرقية . فرأيت عجبا .. ! الحاضرون هم ولا شك من
أهل القرن العشرين . ولكن الموسيقى هى من غير
شك موسيقى القرن العاشر ! ..

أخفيت عنك يا اندريه انى كتبت منذ عام وأنا
فى الاسكندرية شيئا كالقصة التمثيلية بنيتها على سورة
من « القرآن » ... وجرفتني المشاغل فتركت هذا
العمل فى حقيبة لى . وكدت أنساه . لو لم أفتح الحقيبة
عفوا منذ أسبوع ... قراته أو على الأصح قرات
حوار البطل والبطلة . وكانت إحدى مقطوعات
« بيرجنت » لأبسن فى موسيقى « ادوار جريج »

الجميلة تتصاعد من الجراموفون ... يا للمفاجأة .. ! ؟
أنا الذى كتب هذا المنظر ؟ لقد غمرنى يا اندريه
جو شعرى . لست أدري بعد أمبعثه القصة أم
الموسيقى . لقد تأثرت حقاً من هذا الحوار الغرامى
لأول مرة أنا أثر لشيء مخطته يدي . حبذا لو أستطيع
أن أترجم لك هذا المشهد ، لترى معى هل أنا واهم أو
مصيب ؟ .. أما بقية العمل فلم أجد فيه ، للأسف ،
ما هز نفسى ... ما

— ٢٨٥ —

طنطا في ٨ يوليو . . .

عزيزى اندريه

ما أعظم سرورى برسالتك التى جاءتني على غير
انتظار . فكم طال بنا الصمت . وبى رغبة شديدة فى
طول الحديث معك . ولكنك تغيرت قليلا يا اندريه ،
وانك مشيت صحائفك وندرت رسائلك مما ينفرني
بشر مستطير ! عهدي بك سيال القلم . ولا شك
لديك ما تقول لى وتمسكه عنى قسوة منك . ألا قاتل
الله صحتك ! أما قولك انك بدأت تكتب فوجدت
الرسائل بسخيفة فأثرت السكوت . فهو عنز لا يبيديه
مثلك لمثلي . ألا نخجل ؟ انى لا أطلب إليك أن تقوم

بانشاء رسالة بالمعنى الأدبي للكلمة . ولعلى كنت
كذلك ذات يوم ولم يشفى من ذلك الداء غير
مصارحتك اياى يوما بأن بعض رسائلنى تنفعك
« لف » الحوائج الصغيرة من أضرار قصان إلى مواسى
حلاقة ! اذن ما معنى كلمة السخف عندك ، انت الذى
لا يعجبني منه سوى رسائله التى لا معنى لها .
وصفحاته التى يخلط فيها الحابل بالنابل . ولا يتحرج
أن يستعمل ألفاظ « أباش » مونمارتر وأوباش مرسيليا !
انه ظلم . اقسم انه الظلم بعينه : أن أكتب إليك أنا
كل هذه الرسائل ، مع ما أنا واقع فيه من عمل
مهلك . ان مجرد وصف عملى ومقداره خصوصاً فى
فصل الصيف ليعتاج إلى أفراد رسالة طويلة .
تصور انى أعمل بدل ثلاثة من الزملاء . إذ ليس لى
أجازة هذا العام . أو الأصح انى نزلت عنها الآخرين
شهامة منى أو حماقة . البرنامج اليومى كالآتى :

عمل في دار النيابة من الثامنة صباحا إلى الثالثة بعد الظهر . ومن الخامسة مساء إلى الثامنة : لتحقيق التلبس وقضايا المكتب . هذا عدا القيام لضبط الحوادث الليلية ! نعم ، ذلك ان وكيل النيابة في مصر هو مخلوق فريد في نوعه في عالم المخلوقات القضائية . فهو يقوم بعمل النيابة وقاضى التحقيق معا وفي نفس الوقت . بالمعنى المعروف لهذين العاملين المنفصلين في فرنسا وانجلترا ودول الأرض قاطبة . لذلك ترانى عدا عمل النهار الشاق أقوم كل ليلة تقريبا لأضرب في كل طرف من أطراف مدبرة الغريية ، حتى ضجعت بالشكوى مدام « بلانشان » صاحبة البانسيون . وضع معها النزلاء : من طرق الخفراء ليلا على الباب لا يقاظي : وضجعت أنا بالطبع وأصابني الأرق والسهاد ! كل هذا أيضا عدا الجلسات . أتدرى كم جلسة على حضورها في الأسبوع ؟ أربع

جلسات . وهذا أيضا خلاف الايراد اليومي وهو
لا يقل عن خمسين ملفا تحوى قضايا من كل لون
وصنف : جنح ومخالفات وعوارض وشكاوى ادارية ،
يجب فحصها وقيدها وتقديمها للمحكمة أو حفظها ...
كل ذلك فى يوم ورودها ! لقد قلتها ذات مرة
فى صيحه وأنا أكاد أجن : ان وظيفة وكيل نيابة
مصرى هى أشق عمل فى العالم كله .. ولا يستثنى من
ذلك إلا عمل جندي الخنادق فى الحرب العظمى !
ولننتقل إلى حديث الأدب . آه ما أشهى كلمة
«الأدب» بعد كل هذه . «المرمطة» ! إني لأملك
وقتا لتذكر هذه الكلمة . لكم أعجب الآز إذ كنت
فى يوم من الأيام خاليا إلى حدانفاق الوقت فى تخيل
ما وراء الكتب . كم من الساعات أضعت فى
الجلوس جامدا بمشارب حى « جامبتا » أنظم الأرض
والسما من جديد ، وأعيد بناء العالم طبقا لتصوراتى

ومثلي العليا لو كنت أعلم ما ينتظرني ها هنا .. ١٢
لو كنت أعرف أن هذا هو المصير لكنت أشبعت
نفسى لهبوا ومرحاً في باريس ، ولاقتصدت في كل
شيء وأرحت نفسى بعض الراحة من ذلك الغناء
آه لتلك الحمى الخبيثة التى كنت مصاباً بها . تلك
الحمى التى أضاعت على كل ما كان يمكن أن يظهر
من صفات طيبة . إلا أن شفيت ولله الحمد . وهأنذا
ترانى شخصاً غير متعجل شيئاً ، مستسلماً للحياة
والقدر ، فليصنعاً بى ما يريدان !

تسألنى عن الرواية التى حدثتك عنها فى رسالتى
السابقة ؟ انها ليست عصرية ولا تاريخية . ولا حتى
قصة تمثيلية حقيقية . بل . . . بل . . . لست أدري
ربما كانت عملاً فنياً يقوم على « الحوار » لا أكثر
ولا أقل . حوار أدبى للقراءة وحدها . فان وضعها
للتمثيل لم يخطر لى على بال . ان كلمة « التشخيص »

التي عرضتني للالهة في بدايتي الأدبية ما زالت ترن
في أذني... كلا . ان هدي اليوم هو أن أجعل للحوار
قيمة أدبية بحتة ليقرأ على أنه أدب وفكر . هذا
العمل على كل حال لا يخرج عن كونه Transposition
artistique لسورة قرآنية ترتل في المسجد يوم
الجمعة . على أني لا أكتمك اني ساعة كتبتهما لم
أكن تحت تأثير القرآن وحده . بل أيضا تحت تأثير
مصر القديمة . لقد كنت قرأت الكتب الدينية :
كتاب الموتي والتوراة والأناجيل الأربعة والقرآن
ان مصر القديمة كلها كانت واقعة تحت سلطان كلمة
واحدة ملكت عليها فكرها وقلبها وعقائدها
ومشاعرها : البعث . وهي كلمة ذات أربعة أوجه
كلهرم : وجهها الأول : الموت . ووجهها الثاني :
الزمن . ووجهها الثالث : القلب . ووجهها الرابع :
الخلود...

هل أنا على حق في تفسير الكتب السماوية
تحت ضوء مصر القديمة ؟ ومن منها أصل الأديان ؟
إذا كانت الأديان السماوية هي الحق ، فلا بد أن
نكون قديمة قدم الحق ، أو على الأقل قدم الإنسان .
'الأنبياء اذن لم يخلقوا الحق خلقا بظهورهم . ولكنهم
كشفوا عن وجوده الأزل . فلا غرابة اذن في
البحث عن منابع الأديان السماوية فيما كان قبلها من
وثنية ، والبحث عن منابع الوثنية في قلب الإنسان
من يوم ظهوره على الأرض : ..

لو كان المسكين ايفان حياً لناقش في كل ذلك
بما يملأ أسفارا ... على اى حال : لا تشغل بالك كثيرا
بروايتى هذه . فهي ليست عملا ذا بال . ولا احسبها
تمتاز عن مخطوطاتى السابقة في كثير أو قليل . إلا
أن تكون هي أول عمل أردت أن أستوحى فيه
« القرآن » كما أردت قبل ذلك استلهام « الف ليلة

وليلة ، و « المجتمع » المصرى قبيل الثورة .. الخ ...
وبعد . فما من جديد فى حياتى هنا ، على أنى لا أريد
أن أختتم هذه الرسالة قبل أن أخبرك أنى سعيد
لتشرفى بمعرفة « موزار » معرفة أوثق عرى من تلك
المعرفة السريعة العابرة التى بدأت فى باريس . فلقد
هبط « البانسيون » رجل انجليزى من نوع Bidlake
أو Burlap فى قصة هكسلى : وأتى مع « نالوم »
اسطوانات السانفونيات رقم ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و « سوناتا »
رقم ١٠ فسرعان ما تعارفنا بالطبع ... وصرنا نتبادل
الاسطوانات . أنا أعيره ينهوفن وهو يعيرنى
موزارت . آه أى جمال وأى سعادة أن تعيش بجوار
هذا الطفل الالهمى : موزار ! .. م

- ٢٩٣ -

طنطا في ...

عزيزى اندريه

مضت شهور ولم أتلق منك كلمة واحدة . ماذا بك ؟ ماذا حدث لك ؟ انى مع ذلك لا أستطيع أن أكف عن الكتابة إليك . إلى من غيرك أفضى بهواجسى . أريد أن أتلفس وأتكلم وأجد انسافا يصنى إلى حديثى . إلى ذلك النوع من الحديث الذى لا أجرؤ على الاشارة إليه فى بيتى القضاية . الول لرجل القضاء الذى يستكشف زملاؤه فيه انه أديب . ان لنا مجلسا يضمنا كل مساء فى قهوة نظيفة فلا نتحدث فى غير تصرفاتنا اليومية فى القضايا . فن

ظهرت عليه بوادر الفكر في حديثه أو عوارض
الفلسفة في خواطره حلقوا فيه ثم تهامسوا « اتركوه
هذا أديب ... سامحوه هذا فيلسوف .. » وذكروها
له وعدوه بعد ذلك ممن لا يوثق في تقديراتهم أو
تصرفاتهم القانونية . فاذا لم يجدوا مطعنا في عمله فهم
على الأقل متبرمون به وبحديثه . ولن أنسى ذلك
الزميل الفاضل قاضي المحكمة الكلية الذي كان مشغوقا
بالتاريخ الاسلامي ... وعلى الأخص تاريخ الفاطميين .
لقد كان في الواقع واسع الاطلاع فيه .. طلى الرواية
له . فلم يتركه زملاؤه يتحدث في هذا الموضوع قليلا
حتى انصرفوا عنه . وصاروا بعد ذلك كلما أقبل عليهم
هذا الزميل نهضوا متهامسين : « هلموا بنا ...
هلموا بنا ... صاحب الفاطميين حضر ! » فما كان
يمكث في استقباله والاستماع إليه غيرى أنا . فلقد
كنت حقا أجده عنده حديثا يسرني ويلذ لي ..

وتكرر هذا الأمر حتى كدت اتهم انا أيضا وبذكر
اسمي معه في معرض التندر والسخرية ! .. وجاء يوم
كادت تقع فيه كارثة : فلقد هبط المدينة قاض كان
من زملاء دراستي بمدرسة الحقوق في القاهرة . وقيد
اسمه معي بجدول المحامين في يوم واحد ... وشهد
انصرافي بعدئذ إلى التأليف المسرحي . وحصر تمثيل
بعض رواياتي ... فما كاد يراني بين الحاضرين في
المجلس حتى اتخذ مكانه بجواري .. وهو يصيح بي :
« اين انت واين لياليك ورواياتك التي كانت منذ
عشرة أعوام تملأ المسارح ! » فحملق فيه رئيس
المحكمة ورئيس النيابة وكانا - لسوء حظي - بين
الحاضرين ... وقالوا : « يعني ايه ؟ اكان في التشخيص ! »
فغمزت صاحبي .. فتنظر إلى ورأى في عيني آيات
التوسل والألم والضرعة . ففهم الموقف وأدرك غلطته
وحاول اصلاحها قائلا : « لا .. قصدي انه كان يميل

— ٢٩٦ —

إلى مشاهدة التمثيل فى ليالى الفراغ .. ثم انفردت
به أفهمه ان ذلك الماضى قد دفن . وانى الآن من
أعضاء الأسرة القضائية المشهود لهم بحسن السمعة .
فاياك ان تلصق بى كلمة « أدب » او كلمة « فن » او
حتى كلمة « فلسفة » .. ! أرايت يا اندريه فى اى عالم
اعيش الآن ؟ هل كنت تصدق ان ذلك يحدث
لى ؟ ... أدركت الآن مقدار حاجتى إليك وإلى
الهمس بالحديث معك من خلال قضبان حياتى
الحاضرة . ؟ ! اكتب إلى ... اكتب إلى ...
اخبرنى بأحوالك كلها ... كيف حال « جرمين » ؟
وكيف حال الصغير « جانو » ؟ فى اى مدرسة هو
الآن ؟ انى اتخيله دائماً طفلاً صغيراً يلعب بسيفه
الزائف ومدفعه الصغير ... ؟

— ٢٩٧ —

دسوق (غربية) فى . . .

عزيزى اندريه

وا أسفاه ! .. مضى عام وانا لم ازل فى انتظار
رد منك . رد صغير ينبئنى بأن الجبل بيننا لم ينقطع
يظهر انه انقطع .. ذلك الجبل الذى كان يربط احدنا
إلى الآخر ونحن هائمان فى جليد ذلك القطب « الفكرى »
المرتفع ! .. ترى اين انت الآن ؟ اتركتنى وحدى
وذهبت عائدا إلى المجتمع ؟ .. هل فعلت ذلك ؟ اما
انا فانى أقاوم ... اقاوم بكل ما لدى من قوة وعزم ...
انى اكتب إليك الآن من مدينة صغيرة على النيل ..
تدعى « دسوق » . هى مع ذلك مركز من أهم

مراكز القطر . لقد اسندوا إلى أعمال نيابتها .
فوجدت نفسى أمام عمل هائل من السكثرة والخطورة .
ان قاضى المحكمة لا يقيم فى المدينة .. فهو يحضر
جلسته ويذهب . وبهذا صرت أنا الرئيس المسئول
عن شئون النيابة والمحكمة معاً ... لقد تبين لى بعد
أسابيع قليلة انى أنا الرئيس المتصرف فى هذه المدينة
كلها ... فالبوليس والادارة والصحة والهندسة والرى
والزراعة ... وكل فروع الحكومة المختلفة تصب
مشاكلها بين يدى .. حتى فيما لا يقع تحت طائلة
القانون وما يكتفى فيه بالنصح والارشاد والمصالحة
والتوفيق وقرار النظام بالحسنى ... كل ذلك يحتاج
إلى رأى ولكلمتى فيه المقام الأول ... لقد شعرت
حقاً بعبء المسؤولية .. فدفعنى ذلك إلى العمل
المضى . . لقد وضعت نظاماً دقيقاً للعمل لا انحرف
عنه قيد شعرة . انى أعمل نهائى كله .. من الصباح

حتى الثانية بعد الظهر .. ومن الرابعة حتى السابعة ..
فأخرج للنزهة ساعة فوق جسر النيل ... تلك هي
الساعة التي تسمح لي فيها تيماني أن أتحرر قليلا
لأعود إلى نفسي وذاكري .. في تلك الساعة الهادئة
أسير وحدي فوق الجسر أتأمل الأمواج في اصطفاها
الخافت ... فتلعب في رأسي الأفكار القديمة من
جديد .. أفكار الفن والأدب .. فالتفت حولي
حرصاً عليها من مفاجيء .. فلا أبصر غير الخفير
النظامي يحمل بندقيته ويتبعني عن بعد .. لييلني بما
يرد من اشارات مستعجلة .. حتى إذا خيم الظلام
عدت إلى مسكني فتناولت العشاء ثم نظرت في بعض
ملفات القضايا .. ثم آويت إلى فراشي في انتظار
ازعاجي نصف الليل يبلاغ عن وقوع جريمة .. لقد
أحصيت عدد الليالي التي انتقل فيها إلى حوادث
حنائية في هذا المركز .. فإذا هي في المتوسط خمس

— ٣٠٠ —

ليال .. اى انى لا أظفر بأكثر من ليلتين في
الأسبوع أقضيهما نائماً في فراشى كما ينام الآدميون ..
انى أودى واجبي دون تدمير . وانهض باعباء عملي
القضائي بأمانة وهمّة واستقامة ألحظ أثرها الحسن في
مكاتبات الرؤساء الرسمية . انهم يشقون في تصرفاتي
ثقة تملؤني فخرا . هل كنت يا اندريه تتوقع نجاحي
كوكيل نيابة ؟ ولا انا ما كنت أتوقع لنفسى ذلك .
لقد ثبت لى انى رجل أمين لا يعرف الغش في شروط
اللعب . انى فى الفن كنت الفوضى بعينها . ولكنى
فى عمل القضاء انا النظام بعينه . بل انى مبالغة فى
الغيرة على سمعة هذا المنصب لا أختلط بالأعيان ولا
برجال الادارة ولا بأى شخص أكثر من الاختلاط
الذى يدعو اليه العمل الرسمي .. لطالما سمعت بأخبار
زملاء قضائيين — لم يتصلوا يوما بفن ولا بفنانين
ومع ذلك لم يبالوا ، فكانت لهم فى مرا كز أعمالهم

— ٣٠١ —

سهرات « بوهيمية » ومغامرات نسائية .. تركت
أثرا في صحائف خدمتهم لا يمحي . أما أنا فصحيفتي
نقية بيضاء .. ولقد التقيت ذات مرة بالنائب العام
فقال لي انه يعدني من خيرة وكلائه عملا واستقامة
وسمعة . فأنا اذن يا اندريه كما ترى ... أسير بخطى
ثابتة نحو الاطار النهائي الذي يريد أن يجسني فيه
المجتمع .. ماذا بقي لي من الفن والفنان بقبعته السوداء
ذات الاطار العريض ؟ .. كنت منذ أشهر بالقاهرة
فقابلني أحد زملاء الدراسة يشتغل الآن بالتجارة ،
ولا يعرف من أمرى شيئا .. فما ان تفرس في وجهي
وهيئتي حتى قال لي : « ماذا تعمل في الحياة ؟ لا بد
انك من رجال القضاء ؟ » فدهشت وسألته :
« كيف عرفت ؟ » فقال لي : « شكلك وهيئتك
وسياؤك » ! .. عجبا .. أهكذا المهنة قد طبعتني
بطابعها .. ورن عندئذ في أذني صوت : « ايما دوران »

— ٣٠٢ —

يوم قابلتني أول مرة وتفرست في وجهي قائلة لي :
« ماذا تعمل ؟ لا بد انك فنان في مونمارتر ! » ..
واأسفاه ! مات ذلك الفنان .. وحلت روحه في
جسد رجل قانون ! .. أترى الفنان يا اندريه يبعث
من موته يوما ؟ .. ولكن كيف ؟ كيف يحدث لي
ذلك ها هنا .. كيف يحدث ذلك لقضائي منظور
إليه نظرة الرضا والاحترام .. كيف السبيل إلى
الفن الآن .. والمجتمع كما ترى قد هبأ لي مكانا في
أحضانها لا أستطيع منه فكاكا ... أندريه ...
أندريه ... أخشى أن يحطمني المجتمع ... يحطم الفنان
في ... ربما كان قد حطمني وكسرنى ... ولعكني
أقاوم ... منذ أسابيع وأنا أتلقي من أهلي خطابات
يفرونني فيها بالزواج .. ويدكرون لي أسماء لامعة في
الثروة والجاه .. ويهتمونني بالحق والغفلة والعته إذا
خامرتني فكرة الرفض ... ويظهر ان كل شيء قد

- ٣٠٣ -

أعد . وان أصحاب هذه الأسماء قد قبلوا . فالمناسب
القضائية - شأنها في مصر شأن فرنسا - مزيتها
الكبرى هي سعرها الممتاز في سوق الزواج . فإذا
تقول في ذلك ؟ انهم ينتظرون قبولى .. يكنى يا اندريه
أن ألفظ كلمة « نعم » ليضع المجتمع اصفاده في يدي
الأخرى الطليقة ، ويجرني نهائيا إلى المصير المحتوم .
لقد قلت لهم « لا » بأعلى صوتي .. وهم مشدوهون
لا يعرفون السبب . « لا » ... تلك هي الصيحة
الأولى لمقاومتى اليائسة .. يجب أن أقاوم وأن أجاهد ..
أليس كذلك يا اندريه . أأرضى ان تطوينى الحياة
وترغمنى على مالا أريد .. فيم كن اذن جهادى الطويل
فى سبيل الفن ؟ فيم كانت الأعوام الطوال التى
أنفقتها قراءة واطلاعاً وتحصيلاً وتكويناً وممارسة
لأنواع الفن وأنواع العلم وفروع المعرفة .. لقد اردت
ان اكون كاتباً وسأكون .. ولكن .. ولكن كيف

— ٣٠٤ —

يا صديقي اندريه ؟ انى أخط إليك هذا السؤال
بصوت مرتفع فى سكون هذا الليل .. تحت هذا
المصباح الضئيل المستيقظ انتظارا لجرائم الناس .
كيف السبيل يا اندريه ؟ انك تعلم انى عملت
وجهدت لامتلاك ناصية فنى .. ولم اكتبف ييدايتى
الأولى منذ عشر سنوات .. فتناسيتها ... وانطلقت
من جديد أكتب وامزق وأكتب وامزق ..
ولم يسلم من التمزيق اخيرا سوى تلك المخطوطات
التي حدثتك عنها .. اظن انى قد أعددت نفسى
اعدادا كافيا .. واظن انى قد جاوزت السن التي
يحسن فيها بأديب او فنان ان يظهر نهائيا ليغرس
قدمه فى ميدان فنه . ويعرض ثماره على اهل وطنه ..
ولكن مع ذلك .. أنا فى شك يا اندريه . من ادرانى
ان فنى يستحق النشر الآن ؟ لم لا تقول انى متسرع .
لعلما تسرعت من قبل . الا يحسن بنا التريث ؟ قد

تسألنى الى متى ؟ لست ادرى الى متى ان الفن حقا
طويل . وإذا تریثت اكثر من ذلك فسأظل طول
حياتى اریث واتشكك . ولكن من جهة اخرى
إذا اخرجت للناس شيئا تافها . فماذا يكون جوابك ؟
ان الانتظار الى آخر العمر لأهون على نفسى الآن
من اخراج عمل فنى ناقص . انى لم اعد الشاب
الطائش الذى كنت تعرفه فى باريس ... انى الآن
أكره العجلة . وابغض النشر لمجرد النشر . واقدس
الفن حقيقة . واتزه اى عمل فنى عن الظهور مادمت
ارتاب فى أمره بعض الارتياب .. كلا .. فلتبق كما
نحن يا سيدى . وحسبى ان انظر فى مخطوطاتى
من حين الى حين .. لأستخرج فى كل مرة تقصا
جديدا . قد تدهش إذا قلت لك انى صححت وعدلت
وبدلت فى كل مخطوطة ، وقت « بتبويضها » ونسخها
بنفسى اكثر من أربع مرات . اجل يا اندريه .

- ٣٠٦ -

لكل مخطوطة عندي كبرت او صغرت أربع نسخ
version مختلفة بخط يدي .. على أننا إذا طرحنا جانباً
مسألة النضج الفني لعملى وهل تم قليلاً او لو يتم ؟ ..
ومسألة الاقدام او التريث وأيهما الأصوب ؟ ومسألة
الثقة او الارتياب وايهما الأرجح . فان هنالك
مسألة أخرى يجب ان لا تغيب عن خاطرك : المجتمع
الذى حولى الآن .. كيف السبيل إلى الخروج
من إطارى للقضائى ؟ . كيف أنشرفنا دون أن
اتعرض لسخرية زملاء وخيبة أمل النائب العام
وفجيرة الأهل والخلصاء ... آه يا اندريه معذرة ! ..
انى افكر الآن تفكيراً سخيلاً ... هذا كلام غير
خليق بفنان ! .. ولكن هل أنا فنان ؟ .. أتراها
القبعة السوداء هى التى كانت تملأ رأسى بهذه
الأوهام ! لقد خلعتها كما تعلم منذ زمن بعيد ..
وها انذا اليوم اتشح بالوسام الأحمر الأخضر ..

- ٣٠٧ -

ولم أعد اسمع احدا ينعتنى بالفن . ربما قلت لى :
يكفى ان تصفى إلى الصوت الصاعد من أعماق
نفسك ! .. أجل يا اندربه .. ولكن نفسى الآن
ينخر فيها الشك . وما عدت اصدق لها كلاما ؟
واخجله ! .. لست ادرى كيف يتكلم هذا
الكلام رجل يتشبث بالفن .. حقاً .. يجب ان
أومن بالفن ... الايمان بالفن هو « التعميذة »
التي تفتح لى الطريق .. انى أومن بأبولون .. أومن
بأبولون ! كنه الفن الذى عفرت جبينى أعواماً فى
تراب هيكله ... انه ليعلم كم جاهدت من أجله
وكم كافحت وناضلت وكددت ! باسمه أخوض
المعركة الكبرى وأنازل كل مجتمع وكل حياة وكل
عقبة تحول بينى وبين فنى الذى منحته زهرة أباى
التي لن تعود ... ؟

كتب توفيق الحكيم

التي نُشرت في اللغة العربية

محمد
الطبعة الأولى :
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
الطبعة الثانية :
مطبعة المعارف عام ١٩٣٦

شهر زاد
(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)

أهل الكهف
الطبعة الأولى :
(مطبعة مصر عام ١٩٣٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)

عودة الروح
في جزئين
(مطبعة الرعائب عام ١٩٣٣)

أهل الفن : (مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

مسرحيات
توفيق الحكيم
المجلد الأول : ويشمل قصص : سر المتحيرة ، نهر
الجنون ، رصاصة في القلب ، جئنا الطيف ،
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

«تابع» كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

- | | |
|--|----------------------------|
| بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك
(مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦) | } القصص
المسحور |
| المجلد الثاني : ويشمل قصص : الخروج من الجنة أو
الملهية أمام شباك التذاكر . الزمار . حياة تمحطت .
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧) | } مسرحيات
توفيق الحكيم |
| للطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧
للطبعة الثانية
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عام ١٩٣٨ | } وميات نائب
في الأرياف |
| للطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨
للطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤١
للطبعة الثالثة
مطبعة التوكل عام ١٩٤٣ | } عصفور من
الشرق |
| للطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨
للطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤١ | } تحت سمس
الفكر |

«تابع» كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

- | | | |
|---|---|-------------------|
| مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ | } | تاريخ حياة |
| | | معدة |
| الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨
الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤٢ | } | عهد الشيطان |
| | | |
| مطبعة التوكل عام ١٩٣٩ | } | براكسا |
| | | أو
مشكلة الحكم |
| الطبعة الاولى
مطبعة التوكل عام ١٩٣٩
الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤٣ | } | راقصة المعبود |
| | | |
| نشيد الأُنشاد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠ | | |
| الطبعة الاولى
مطبعة التوكل عام ١٩٤٠
الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤٢ | } | حمار الحكيم |
| | | |

«تابع» كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

الطبعة الاولى
مطبعة التوكل عام ١٩٤١
الطبعة الثانية
مطبعة التوكل ١٩٤٢

} سلطان الظلام

من البرج العاجي : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

} تحت المصباح
الأخضر

بجماليون : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

سليمان الحكيم : مطبعة التوكل عام ١٩٤٣

زهرة العمر : مطبعة التوكل عام ١٩٤٣

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد } ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليكونت عضو الاكاديمية الفرنسية .

عودة الروح } ترجم ونشر بالروسية في لينتجراد عام ١٩٣٥ .
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ .

يوميات نائب } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
في الأرياف } حافظ عفيف باشا . (طبعة أولى)
وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)

أهل الكهف } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتبسيط تاريخي
لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية .

عصفور من الشرق } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

مطابق الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الابداع بدار الكتب ١٩٩٨/٨٥٦٦

I.S.B.N 977- 01 - 5761 - 9



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال
إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل، ومازلنا
نشهد بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن
«مكتبة في كل بيت».

شبت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة
الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضيء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب
في متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق
وتتمسدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتضن في كل العا
ومازلت أحلم بالزيد من لآلئ الإبداع الفكري والأدبي والعلمي
وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر ال
التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

Bibliotheca Alexandrina



0333978



مطالع الهيئة المصرية العامة للكتاب

سفر جديد

مكتبة الأسرة
١٩٩٨
مهرجان القراءة للجميع